جامعة جنوب الوادي

كلية الاداب

قسم علم الاجتماع

علم الاجتماع العائلي

إعداد

أ.د. سلوى محمد المهدي أحمد

2022 - 2023

الكلية : الآداب

الفرقة: الأولى

التخصص: علم اجتماع

عدد الصفحات : 152

المؤلف : أ.د. سلوى محمد المهدي أحمد

الرموز المستخدمة

نص للقراءة

محتويات الكتاب

مقدمة	**5**
الفصل الأول: ماهية علم الاجتماع العائلي	**6**
الفصل الثاني: الأسرة "دراسة تحليلية"	**11**
الفصل الثالث: الزواج "تحليل سوسيولوجي"	**35**
الفصل الرابع: التنشئة الاجتماعية "دراسة تحليلية"	**45**
الفصل الخامس: القرابة والأسرة	**98**
الفصل السادس:المسئولية الاجتماعية نحو تيتيم الأطفال ضحية الطلاق	**109**
الفصل السابع : الطلاق والبناء الداخلي للأسرة	**129**
المراجع باللغة العربية:	**144**
المراجع باللغة الانجليزية:	**150**

مقدمة :

تعتبر الأسرة المتكاملة البناء اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ، لذا حثنا الدين الإسلامي على الزواج لتكوين الأسرة للحفاظ على المجتمع وتدعيم وحدته وتماسكه ، وبما أن الأبناء هم الثمرة الطبيعية لهذا الزواج فقد أوصانا بهم ديننا الحنيف وبحسن رعايتهم وتنشئتهم، لذا كان لزاماً علينا العمل بتلك الوصية وحسن الرعاية .

وبما أن الأسرة بكل الظواهر الاجتماعية المرتبطة بها من الأهمية بمكان فقد كان لدراسة مقرر علم الاجتماع العائلي أهمية كبيرة للغاية لطلاب قسم علم الاجتماع لكونها من أهم النظم الاجتماعية القائم عليها استقرتر المجتمعات.

ولقد كان هناك حرص على أن يحتوي المقرر على ماهية علم الاجتماع العائلي ومفاهيم الأسرة وخصائصها ووظائفها ، ونظرياتها ، كذلك احتوى المقرر على توضيح أهم وظيفة من وظائف الأسرة وهى التنشئة الاجتماعية من جميع الجوانب ، المفاهيم والأنواع والوسائل والأساليب والنظريات وغيرها ، كذلك بعض المشكلات التي تعاني منها الأسرة وتتسبب في وجود الخلل في هذا النظام المهم، وعلى جانب آخر احتوى المقرر على نظام القرابة بشيء من التفصيل .

الفصل الأول

ماهية علم الاجتماع العائلي

ماذا يعني علم الاجتماع العائلي؟

يطلق مصطلح "علم الاجتماع العائلي" على أحد فروع علم الاجتماع العام الذي يهتم أساساً بدراسة الأسرة والزواج والقرابة بنائياً ووظيفياً ، حيث يدرس بناء الأسرة ووظائفها كذلك النظريات الاجتماعية التي تناولت موضوعها ومجالات قوتها وضعفها وأسباب تفككها وعلاقتها بالنظام القرابي ، يهتم هذا العلم أيضا بدراسة الزواج وأنواعه القديمة والحديثة والطلاق والتنشئة الأسرية وكيف تتولد الذات الفردية وتتفاعل مع الأنا الاجتماعية .

فعلى الرغم من أن المجتمع يتكون من أفراد فإن الفرد المنعزل يعتبر في نظر علم الاجتماع فكرة مجردة ، فالفرد في أي مكان جزء من ظاهرة.

وكل ظاهرة اجتماعية بل وكل قوة اجتماعية تنتج عن تعاون يتفاوت نطاقه ضيقا وسعة ، أي عن تضافر النشاط بين عدد كبير أو صغير من الأفراد .

وإذا كان التحليل في علم الحياة يجب أن يقف عند الخلية فإنه في علم الاجتماع يجب أن يقف عند "الأسرة" باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى في التنظيم الاجتماعي – Social Organization على اعتبار أن النوع الإنساني من الأنواع التي لا يلبث أفرادها أن يؤلفوا جماعات محددة ومتنوعة ، بمعنى أن غريزة التجمع فطرية في النوع الإنساني وأنها ترجع إلى الميل الفطرى أي إلى الرغبة في حياة الجماعة لدى الإنسان.

تلك الحقيقة التي انتهى إليها علم الاجتماع وشهدت بها الوثائق التاريخية والأبحاث التجريبية تدحض الرأي الذي قدره بعض الفلاسفة الاجتماعيين من امثال "هوبز" في القرن السابع عشر ، و"روسو" في القرن الثامن عشر، وغيرهما من أن المجتمع ظاهرة مصطنعة وليست طبيعية قامت على فكرة المنفعة وإشباع الأنانية الفردية ولا ريب أن الأسرة هي المجال الأول للتعاون ولكافة العمليات الاجتماعية الأخرى .

ولعل كل مشتغل بالعلوم الاجتماعية – على اتساعها وتشعبها – يدرك إدراكا واضحا ليس في حاجة إلى تدليل أن اهتمام المفكرين بالأسرة وخصائصها ومشكلاتها هو اهتمام يضرب بجدور عميقة في تاريخ الفكر الإنسان بل أنه يكاد أن يكون قديما قدم الفكر الإنسان نفسه، ذلك أن

الأسرة كنظام اجتماعي قديمة قدم الحياة الاجتماعية الإنسانية وعلى امتداد التاريخ الإنساني المدون تدل الشواهد على أن موضوع الأسرة قد حظى باهتمام من جانب الأدباء والفلاسفة والمفكرين .

وهناك أيضا كتابات سابقة على البحث العلمي المنظم في الأسرة تتمثل في التراث الشعبي وكتابات الأدباء والتأملات الفلسفية ومن أعلام هذا الفكر في عالم الأدب "شكسبير" "والت هوايتمان" وفى الدين "كونفوشيوس" "سانت أوغسطين" وفي الفلسفة "أفلاطون" و "أرسطو" و"جون لوك".

أما الاهتمام كل الاهتمام فكان من قبل الدين الاسلامي حيث اهتم بالأسرة من بداية تكوينها واهتم بكل عنصر من عناصرها محدداً حقوقه وواجباته وأرسى القواعد الأساسية للأسرة والتي تضمن لها صفات الدوام والسلام.

وقد بدأت دراسات الاهتمام بالأسرة تتخذ طابعا علميا في أواخر القرن التاسع عشر تحت وطأة التغيرات الكبرى التي شهدها النظام الأسرى في المجتمعات الغربية في أعقاب التقدم الصناعي الذي شهدته تلك المجتمعات، وما ترتب عليه من اثار اجتماعية بعيدة المدى .

ولقد شغلت دراسة الأسرة حيزاً بارزاً من اهتمامات المشتغلين بعلم الاجتماع في الوقت الحاضر حيث أفردوا لها ميداناً خاصاً من ميادين الدراسة في هذا العلم وهو "علم الاجتماع العائلي كما أنها قد باتت تمثل – بالاضافة إلى ذلك – ميدانا مشتركا يلتقي فيه المشتغلون بعلم الأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم الفولكلور، والخدمة الاجتماعية وعلم السكان ، وعلوم التربية ، وغيرها وأصبحت دراسات الأسرة تمضى على نحو علمى متطور ، مستفيدة في ذلك من التقدم الذي تحقق لعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى على المستويين النظري والمنهجي.

فقد تعددت المنطلقات والأطر النظرية الموجهة لهذه الدراسات، حيث شملت النظرية البنائية الوظيفية، والنظرية التفاعلية الرمزية ، ونظرية دورة حياة الأسرة ، والاتجاه المادي التاريخي ، والاتجاه الديني الاسلامي . واتسع نطاق دراسات الأسرة وشهد هذا المجال

تراكما واضحا ومضطردا بمرور الوقت ، حتى أصبحت هذه الدراسات تعد بالمئات ، وتتناول الأسرة بالتحليل العلمي من زوايا متعددة ، على امتداد مناطق ومجتمعات وثقافات العالم ، وعبر فترات تاريخية مختلفة.

وتعتبر الأسرة نموذج مصغر للمجتمع إذ أنها تجسد – بدرجة أو بأخرى – النظم الاجتماعية الأخرى الهامة ، كالنظام ، والنظام الديني ، والنظام السياسي ، والنظام التربوي ، ونظام الضبط الاجتماعي، ... إلخ ويتضح هذا بجلاء عندما ننظر إلى الأسرة في إطار بنائي ، أي في تفاعلها وتساندها مع باقي نظم وانساق المجتمع الأخرى. وعندما ننظر إليها أيضا في ضوء الوظائف المختلفة التى تؤديها.

و في إطار هذه الرؤية البنانية التكاملية للأسرة، فإنه لايمكن باى حال من الأحوال دراسة الأسرة من حيث خصائصها، وتغيرها ، ومشكلاتها، دون فهم خصائص ، وتغير، ومشكلات المجتمع الكبير الذي توجد فيه ، أي أن الدراسة العلمية للأسرة لا تستقيم بمعزل عن السياق الاجتماعي / الاقتصادي / الثقافي / الديني \ السياسي الذي توجد فيه بل أن الدراسة العلمية الصحيحة للأسرة في عالم اليوم يجب أن تنطلق من منظور دينامي أقل وأعم لا يقتصر فقط على تناول الأسرة في ضوء الملامح والخصائص الدينامية تجتمعها على المستوى الإقليمي أو الوطني (أي في داخل الحدود) ، وإنما يتجاوز ذلك أيضا ليتناولها في ضوء ديناميات التفاعل بينها ربين العالم الخارجي ، أي على المستوى القومي العربي والمستوى العالمي بوجه عام.

ان الأسرة – أية أسرة تنتمى إلى شريحة طبقية. وهذه الأخيرة جزء من طبقة ، توجد في مجتمع ، هو بدوره جزء من منظومة كبرى هي المجتمع العالمي. والمجتمع العالمي المعاصر ينقسم إلى دول قوية وأخرى ضعيفة، والى شعوب غنية واخرى فقيرة ، و إلى مجتمعات متقدمة صناعياً وتكنولوجيا وأخرى تعاني التخلف الاقتصادي والتخلف العلمي وقد دلأبت الكتابات التي تركز اهتمامها في هذا المجال على تقسيم العالم إلى شمال متقدم ومهيمن ، وجنوب متخلف وتابع. وهذه القسمة إلى "شمال" و "جنوب" لا يقصد بها المعنى الجغرافي الذي يشير إليه كل من هذين المفهومين، وإنما يقصد بها التعبير عن الثنائية التي

ينقسم إليها النظـام الاقتصـادي العالمي المعاصر وهي ثنائية تجسد التناقض بأجلى صوره ومعانيه ، فالشمال والجنوب التقدم والتخلف ، كما تعنى السيطرة والتبعية ، حيث تكون العلاقة بين طرفي هذه الثنائية هي علاقة بين طرف مستغل (بكسر الغين) وطرف مستغل (بفتح الغين) ك أن النظام الاقتصادي العالمي المعاصر يتكون من الدول الرأسمالية والصناعيـة ى ما تعرف "بدول المركز" (التي تمثل الشمال) ومن الدول الفقيرة التابعة التى ف "بدول الأطراف" (التي تمثل الجنوب).

وتقوم العلاقة بين دول المركز ودول الأطراف على نحو غير متكافئ وغير عادل. إذ أن الأولى تحقق تقدمها وازدهارها ورفاهيتها عن طريق إضعاف وإفـار وتعويق تقدم الأخرى. وتكون المحصلة النهائية للعلاقة بينهما هي أن يزداد الغنى عى ويزداد الفقير فقرا.

فالأسرة إذن ليست بمعزل عن تأثير المؤثرات العالمية المختلفة. ويمكن أن تصدر بعض القرارات الاقتصادية السياسية في إحدى عواصم الدول الكبرى المتقدمة فتردد أصداءها بين الأسر في أكثر دول العالم فقرأ وتخلفا ذلك أن كثيرا من هذه البلدان الفقيرة التابعة ترسم في كثير من الأحوال سياستها وتشريعاتها المنظمة لحياة مواطنيها على ضوء ما يصدر من قرارات في عواصم الدول الكبرى.

كما لا تستطيع الأسرة – أيا كان مكانها في عالم اليوم أن تعزل نفسها عن ريـاح التغيير العالية التي تهب على مجتمعها من كل اتجاه ففي عصر تكنولوجيا الفضاء والأقمار الصناعية، والبث التليفزيون والإذاعي على نطاق عالمي، وغزارة الانتاج السينمائي، وانتشار أجهزة وأفلام الفيديو تصبح الأسرة في قلب الدوامة كما تصبح في الوقت نفسه عالم كبير يتجاوز الحدود المكانية الأقليمية ويمتد إلى آفاق بعيدة.

الفصل الثاني : الأسرة "دراسة تحليلية"

أولا: مفهوم الأسرة

ثانياً: تطور الأسرة

ثالثا: خصائص الأسرة.

رابعاً: وظائف الأسرة.

خامساً :المداخل النظرية في دراسة الأسرة.

أولا: مفهوم الأسرة:

للأسرة كثير من المفهومات، وسوف نتناول بعضاً ، منها للأسرة بعامة وللأسرة الحديثة على وجه الخصوص.

فللأسرة معنيان : معناها الشامل ومعناها الضيق

المعنى الأول (الشامل) يعني الجماعة الإنسانية التي تضم الإنسان في كل مكان بالعالم والذي يؤثر فيها ويتأثر بمؤثراتها، وهي بذلك تعنى (الأسرة الإنسانية) Human Family أي أسرة المجتمع الإنساني كله والتي تعتبر بطبيعة العصر التكنولوجي الحاضر أكثر وضوحاً من أي عصر مضى إذ ساعدت التكنولوجيا على الارتباط التام بين المجتمعات الإنسانية حتى أصبحت الثقافة ليست مميزة للمجتمعات التي تميزها فقط بل أصبحت متكاملة وتؤثر كل منها في الأخرى (حسين،12،1989).

وهناك اتجاه آخر يشير إلى المعنى الواسع للأسرة، على أنها مجموعة الأفراد الذين يعتقدون فيما بينهم أنهم ينتمون إلى جماعة مستقلة داخل المجتمع ويرتبطون الواحد بالآخر عن طريق روابط الدم Blood ties أو الزواج ويدركها بقية أفراد المجتمع، وطبقاً لرأى "بروم"L. Broom "وسيلزنيك" P. Selznick أن الأسرة تتوسط بين الفرد والمجتمع وتساعد الفرد على أخذ مكانته في العالم الواسع " (Nobbs,1979,48)

أما المعنى الثاني (الضيق) للأسرة فيعني الجماعة الانسانية الأولى التي يتعامل معها الفرد والتي يعيش فيها السنوات التشكيلية الاولى.

وتعد الأسرة بمعناها الضيق محل اهتمام كثير من الباحثين قديما وحديثاً ويهمنا هنا أن نوضح الفرق بين مفهومي شكلين منها الأسرة البسيطة والأسرة والمركبة .

أ- الأسرة البسيطة Simple Family وهي الأسرة التي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء المباشرين غير المتزوجين الذين يعيشون في كنف الأسرة ومثل هذه الأسرة يسميها البعض بالأسرة الزواجية" Conjugal family " ويسميها بيرجس" "بالأسرة النووية" Nuclear family، ويبرر "بيرجس" اتجاه شكل الأسرة إلى هذا النمط

بظهور المجتمعات الصناعية الحديثة التي تطورت نتيجة لازدهار المذهب الفردي Individualism.

ب – الأسرة المركبة Compound Family ويعرفها (ن .و.بل)، (و.ف.فوجل) أي تجمع أوسع من الأسرة النووية ويكون منتمياً بالتناسل أو التبني إلى جد واحد بأنه أسرة ممتدة Extended famiy (عبد الباري، 1980، 60).

إن مصطلح الأسرة يثير الجدل وتحيط به كثير من الصعوبات وهناك اتفاق عام على ان أصل الأسرة هو القرابة الحميمة أو العلاقات القرابية ، ولكن أصل العائلة هو الأنشطة المنزلية Domestic activitie.

أي أن هناك فرقاً بين الأسرة والعائلة، ففي دراسة الأسرة الريفية أو حياة الفلاحين يستخدم مصطلح العائلة ليشير إلى مجموعة الاقارب التي من شانها أن تحكم الممتلكات الخاصة بالأسرة،أما في المجتمع المتحضر فيستخدم مصطلح الأسرة ، ودائماً يقصد به الأسرة النواة ويعرف "جودينو Goodenough ١٩٧٠ الأسرة النواة بأنها تتكون من سيدة وأولادها وعندما تحتوى الأسرة على زوج هذه السيدة فإنها تسمى أسرة زواجية، وعندما تحتوى على أقارب هذه السيدة غير أولادها فإنها تسمى أسرة من دم واحد (Seymour,1992,110)

ولكن هذا المفهوم يختلف عن المفاهيم المعروفة للأسرة النورية باحتوائها على الأب مع الأم والاولاد وإذا ما احتوت الأسرة على افارب تغير شكلها ومفهومها إلى أسرة ممتدة.

والأسرة المركبة بشكلها السائد الان في المجتمعات العربية الإسلامية يسميها "ميردوك" "بالأسرة العاصبة Consanguine family وهي تنطوى على الأقل على جيلين بحيث يتكون الجيل الأول من زوج وزوجة وأولادهما ويتكـون الجيل الثاني من بعض أولادها المتزوجين وكلهم يعيشون معيشة واحدة.

أيضاً يمكن أن نطلق تعبير "الأسرة المترابطة" على أسرة ممتدة تتكون مـن مجموعة من الأسر يرتبط أفرادها بعضهم ببعض بعلاقات مثـل زواج الأخوة أو الأخوات او أحد أفراد عائلاتهم وعموما تعتبر الأسرة تجمعاً اجتماعياً قانونيا لأفراد اتحدوا بروابط الزواج والقرابة أو

بروابط التبنى وهم الغالب يشاركون بعضهم بعضاً في منزل واحد ويتفاعلون تفاعلا متبادلا طبقا لأدوار اجتماعية محددة تحديدا دقيقا وتدعمها ثقافة عامة .

ويمكننا القول أنه باتجاه المجتمعات نحو التحضر ساد نمط الأسرة الحديثة أو الأسرة المتحضرة والتي نقصد بها الأسرة النووية، وهي تقتصر عادة على الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين أو كما يتضح من هذا المفهوم الذي يعتبر الأسرة "جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة وأبنائهما ، ومن أهم الوظائف التي تقوم هذه الجماعة إشباع الحاجات العاطفية وممارسة العلاقات الجنسية وتهيئة المناخ الاجتماعي الثقافي الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء(غيث، 176،1979) .

وهناك مفهوم آخر للأسرة وبرغم أنه موجز للغاية إلا أنه شاملاً ومعبراً عن الأسرة الحديثة تعبيراً صحيحاً، وهو يعتبر الأسرة النواة هي "أسرة محددة زواجية"، محددة لأنها لا تشتمل على أقرباء أو غرباء خـــارج نطاقها الصغير" الزوجان والأبناء فقط"، وزواجية لأنها تقوم بسبب الزواج، مثل هذه الأسرة تقوم على الحب بين الرجل والمرأة، وهما يعتمدان على أنفسهما في تربية الأبناء ويتبعان دائماً نصائح وسائل الإعلام في ذلك ويفخران بديمقراطيتهما ولا يعيران المصالح الخارجية العامة اهتماماً، مثل هذه الأسرة السعادة الفردية والمساواة هي قانونها وهي تنتهى تموت الأب والأم، ومهما كانت مشاكل هذا النوع من الأسر فهو يريح أصحابه من متاعب الحياة المعاصرة(James,1981,259)

هذه هي الأسرة المتحضرة بخصائصها التي تتناسب مع المجتمع المتحضر الاستقلالي الديموقراطي، وقد سماها "محمد عاطف غيث" في قاموس علم الاجتماع أسرة المساواه Family equilitarian وهي نموذج أسرى يقوم على المساواة بين جميع الأعضاء وخاصة الزوج والزوجة، ومن المعروف أنه في مثل هذا النموذج الذي يتزايد إنتشاره في المجتمعات الصناعية المتقدمة لا يكون لأى من الزوجين سلطة أو امتياز لا يتمتع به الآخر.

ونستطيع أن نسترسل بعد دراسة مفاهيم الأسرة إلى إيضاح مكوناتها حيث أنا ندرك أن الأسرة تحوى بداخلها عناصرها الطبيعية الأساسية المكونة من الرجل والمرأة والطفل فالرجل هو حامي حمى الأسرة وراعيها وكافلها والمشارك للمرأة في حياتها والمرأة هي المنتجة

لذلك الطفل الذي تتعهده بالرعاية إلى أن يصبح رجلاً ، إذن فهي صانعة للرجال رمز القوة في المجتمع والعنصر الأساسي المشارك للمرأة.

والمرأة هي رمز التعاطف والتراجم – قال تعالى في سورة الروم "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " فإن مكانة المرأة في الأسرة كزوجة وأم مكانة رفيعة قدرها الله ورسوله منذ عدة قرون من خلال القرآن الكريم والسنة المحمدية ويقدرها الآن أعضاء مجتمعنا المعاصر على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم ومستوياتهم المادية حق قدرها.

ثانياً : تطور الأسرة:

لكي نقف على طبيعة الأسرة والعلاقة بين أطرافها والعلاقة بين الأسرة والمجتمع لابد من توضيح التطورات المختلفة التي مرت بها الأسرة منذ الماضى وحتى الآن

تؤكد الدراسة التحليلية لتطور الأسرة أن نظـام المعاشر كـان أقدم التشكيلات أو التجمعات البشرية . وكان هذا النظام بطبيعته ينطوي على ترابطات شبه أسرية من الصعب معرفة حدودها ونظامها فلم يكن المعشر أسرة واحدة ولكنه كان مكونا من عدة خلايا أسرية واختلفت هذه المعاشر في عدد افرادها فقد تكون بضعة أفراد في بعض البيئات وقد تبلغ المئات في البعض الآخر . ومهما يكن من أمر الحياة الاجتماعية داخل هذه المعاشر ، فإن الترابطات شبه الأسرية التي تنطوى عليها كانت ضيقة النطاق لا تعدو الرجل وبعض النساء واطفالهم وقامت الترابطات الاسرية في بعضها على اساس الزواج الأحادى – أي اقتصار الرجل على زوجة واحدة – وفى البعض الآخر على تعدد الزيجات بمعنى الزواج الجمعى الذي ينقسم إلى قسمين :

أ- تعدد الزوجات : بمعنى رجل واحد له أكثر من زوجة

ب – تعدد الأزواج : بمعنى امرأة واحدة تتزوج أكثر من رجل

ويعترف بعض الكتاب بوجود شكل آخر للزواج الجمعي يسمى الـزواج الجماعي " أو سينوجامي Cenogamy" يقوم بمقتضاه مجموعة من الرجال بالزواج من عدد من النساء

ولعل أول شكل اتفق علماء الاجتماعي في ظهوره على مســـرح الحياة الاجتماعية كان ذات طبيعة دينية وعائلية في آن واحد . وقد اطلقوا على هذا النوع اسم العشيرة Leclan ، فلم يكن لديهم فرق بين أسرة وعشيرة . وكـان جميع أفراد العشيرة الواحدة يرتبط بعضهم ببعض برابطة قرابة متحدة الدرجة ولا تكن هذه الرابطة قائمة على صلات الدم ، كما هو الشأن في المجتمعات الحديثة في الوقت الحاضر . وإنما كانت قائمة على أساس انتماء الأفراد لتوتم واحد Totem ي والتوتم عبارة عن نوع من الحيوان أو النبات تتخذه العشيرة رمزا لها ، ولقبا لجميع افرادها ، وتعتقد انها تؤلف معه وحدة اجتماعية ، وتتزله وتتزل الأمور

التي ترمز اليه منزلة التقديس . فانتماء مجموعة من الأفراد لتوتم واحد يجعلهم أفراد أسرة واحدة ، ويربط بعضهم ببعض برابطة قرابة متحدة في درجتها وقوتها، أيا كـــانت صلتهم ببعض من ناحية القرابة الطبيعية ووشيجة الدم .

وكانت العشيرة بهذا الشكل عبارة عن مجتمع عائلي حيث تتألف من أناس يعتبرون أنفسهم منحدرين من أصل واحد وأن كانت تتميز عن غيرها من الأنواع حيث أن القرابه فيها تقوم على التوتم وكان الطفل في الغالب يعتنق توتم أم هنا كانت القرابة من ناحية الأم فقط ، ويعزى ذلك إلى حالة الترحال الدائم لدى القبائل وعدم استقرار الرجال في جهة واحدة . ولما كانت الأم هي وحدها التي تقوم برعاية الأولاد ، فإن الأسرة البدائية كانت لهذا السبب تقوم على سيادة الأم ونسبة القرابة إليها.

وعندما تقدمت المجتمعات إلى حالة الاستقرار تطور نظام الأسـرة واتخذ شكلا يغلب عليه الطابع السياسي وبذلك ظهرت سيادة الأب في النظام العائلي ، ومالبثت هذه السيادة أن طغت على كل شئ . وانتهى بذلك عصر الأسرة الأمومية **Reigme Matriarical** وبدأ عصر الأسرة الأبوية **Patriarical Family** ، وقد ظهر هذا النمط خلال الحضارتين اليونانية والرومانية عندما ظهر ما يعرف باسم كبير العائلة **Pater Family** بسلطانه المطلق على أفراد اسرته . فكان من سلطته أن يضيف إلى أسرته من يشاء من الأفراد حتى ولو لم يكونوا من اصـــلاب العائلة ، ويلفظ منها من يشأ حتى ولو كانوا من اصلابه . فقد كانت الأسرة عندهم تنظيم جميع الأقارب من ناحية الذكور وتنتظم كذلك الارقاء والموالى والادعياء وهم الأفراد الذين يتبناهم رئيس الأسرة أو يدعى قرابتهم له ، فيصبحون اعضاء في اسرته ويمنحون اسمها ويسمح لهم بالاشتراك في طقوسها وكان اسم الفرد منهم لايذكر إلا مقرونا باسم اسرته وكانت تقام طقوس خاصة حين الاعتراف بالاولاد ، فيوضع الطفل على عتبة حجرة كبير العائلة فإذا ضمه إلى صدره اعتبر ذلك اعترافا بينوته ، وإذا تركه ملقى على العتبه اعتبر اجنبيا عن الأسرة مباح بيعه قتله . ثم أخذ نطاق الأسرة يضيق شيئا فشيئا لا سيما عندما حاربت الشـــرائع نظام القبول والادعاء ودعت إلى الغاء نظام الرق وفتحت منافذ العتق والتحـر فلم يعد من حق رب الأسرة أن يدخل في نطاقها من يشاء ، بل أصبح ذلك مقصورا على نسائه واولاده الذين يأتون من فراش صحيح أو عن طريق التبـى في الحدود

التي يقرها المجتمع ، وهذا هو نطاق الأسرة الزوجية الحديثة " التى تعتبر أحدث أشكال النظام الأسرى . إلا أننا نلاحظ أن الأسر الريفية لا تزال تحتفظ ببعض رواسب النظام القديم إذيدخل في نطاقها الــزوج والزوجة والاولاد وزوجاتهم واحفادهم البنات مادمن عذارى كذلك يتزوجن وغر من العصب العمومة وذوى القربى وتعرف هذه الأسر باسم الأسر المركبة لأنها تنطوى على أكثر من أسرة نواة أما في المدينة فيذهب بعض الباس وصفهم لأسلوب داخلها أنه لا يزال واضحا وبخاصة أحياء الطبق والمناطق المزدحمة على مدن الأكواخ والمناطق العشوائية أسلوب حياة القرية وتوجد بالفعل عناصر التشابه فشبكات القرابه تمتد طوليا وبطريقا متوازية، ويؤدى الأعضاء خدمات متبادلة وللكبار مكانة معترف بها الأسرة ويتمتعون بوظيفة التحكم الاجتماعي المحافظة على قواعدهم وقواعد الجوار والمجتمع – باستثناء بعض الجماعات ومن ثم يظهر نمط الأسرة المركبة أما عدا ذلك فتظهر في المدينة أسرة زواجية بالمعنى الصحيح فلا تكاد تحتوى إلا على الزوج و الزوجة والأولاد.

ثالثا: خصائص الأسرة:

تتميز الأسرة ببعض الخصائص التي تميزها عن غيرها من وسائل التنشئة الاجتماعية، وسوف نوضح بعض الخصائص العامة للأسرة والتي تتلخص في بعض النقاط منها:

– تمتاز الأسرة باعتبارها جماعة ومنظمة اجتماعية من خلالها توفير الرعاية والغذاء وكل متطلبات التنشئة الاجتماعية لأفرادها.

– ترتبط الأسرة بقواعد تنظيمية داخلية يتحدد من خلالها دور كل فرد في الأسرة.

– تمارس قواعد الضبط الاجتماعي على أفرادها ويتم هذا الضبط من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي توفرها لهم.

– تعتبر دعامة أساسية من دعائم البناء الاجتماعي باعتبارها منظمة اجتماعية ترتكز عليها بقية منظمات المجتمع الأخرى .(الجميلي ،40،1993) ، وهي تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية وتتأثر بها، فإذا كانت الأسرة منحلة وفاسدة في مجتمع من المجتمعات انعكس ذلك على وضعه السياسي وإنتاجه الاقتصادي ومعاييره الأخلاقية وبالعكس إذا كان النظام السياسي والاقتصادي فاسداً أثر بدوره على توازن النسق الأسرى ومستواه المعيشى داخل المجتمع.

- **تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية فهي ما زالت تؤدى وظائفها الاقتصادية بالرغم من التطورات التي طرأت على نظمها، وتعتبر أيضاً وحدة إحصائية أي يمكن أن تتخذ أساسا لإجراء الإحصائيات المتعلقة بعدد السكان ومستوى المعيشة ويمكن أخذها عينة للدراسة والبحث للوقوف على المشكلات الأسرية ورسم الخطط الفنية المثمرة للقضاء عليها(الجوهري،44،1991)**

وإذا ما أمعنا النظر في خصائص البنـاء الاجتماعي للأسرة Social structure نجده يستند على طرفين أساسيين هما الزوج والزوجة، كما أن هنـاك اختلافاً بين البناء الاجتماعي للأسرة الريفية والبناء الاجتماعي للأسرة الحضريـة فبناء الأسرة الريفية يتميز بالجمود بدليل تمسك أفرادها بالعادات والأعـراف والتقاليد ويتعصبون لها فهي بعض من تراثهم الاجتماعي بينما أدت التيارات الثقافية والأيديولوجيات الجديدة والمستحدثة والتطور الحضاري والحراك المترتب على التطور الثقافي إلى تغيرات اجتماعية قللـت من تمسك أبناء المدن بالعادات والأعراف والتقاليد، ولهذا فإن البناء الاجتماعي للأسرة الحضرية يتميز بالمرونة، كما أن السلطة في الأسرة الريفية ديكتاتورية تتركز في عائلها، وديموقراطية في الأسرة الحضرية لأنها مشتركة بين الأم والأب ومن يبلغ القدرة على التمييز بين الطيب والخبيث من الأبناء.

رابعا: وظائف الأسرة:

بالرغم من أن هناك اختلافاَ في أنماط الأسرة إلا أن الادوار الأسرية تقريباَ ثابتة ويلخصها "بيرجس " في توريث الخصائص البيولوجية والحضارية والتنشئة الاجتماعية.

وإذا ما حاولنا تصنيف وظائف الأسرة نجدها كالآتي:.

١- حفظ النوع البشري: – من خلال اتصال جنسي مشروع يستلزم تصديق المجتمع وقبوله وذلك وفق قواعد تمثل في جملتها تنظيمات اجتماعية تتحكم فيها العادات والتقاليد المجتمعية وجدير بالذكر أن الذي يدفع الإنســـان إلى الإنجاب هو تلك الفطرة التي فطرنا الله عليها وهي أن يكون لكل منا مولود على صورته أو ما يصطلح عليه باستمرارية الذات Self perpetuation

٢- إعالة الأطفال وتربيتهم: حيث تقوم بتزويد الطفل بمختلف الخـرات أثناء سنوات تكوينه، فللأسرة وظيفة اجتما هامة إذ هي العامل الأول في صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية(فهمي ، قطان ، 129).

3 – الوظيفة الحضارية: حيث تقوم الأسرة بإعداد أعضائها للمجتمع للعمل والتفاعل والمشاركة، كما أنها تؤكد الاستمرار الحضاري للمجتمع من خلال الإنجاب وتعمل على منع أفرادها من اقتراف السلوكيات التي لا تتناسب مع قيم المجتمع الحضارية.

4 – الوظيفة الاقتصادية: بعد التطور الصناعي تحولت الأسرة إلى وحدات اقتصادية مستهلكة بعد أن هيأ المجتمع للأسرة منظمات جديدة تقوم بعمليات الإنتاج الآلى وتوفير السلع والخدمات، كما أن الحياة في المجتمعات المتقدمة أجبرت أفراد الأسرة على السعى للعمل خارج محيط الأسرة مما أدى إلى نشأت روابط وعلاقات اقتصادية خارج محيط الأسرة.

5- الوظيفة العاطفية: هي التفاعل المتعمق بين جميع أفراد الأسرة في ظل مش العاطفة بين الوالدين والأطفال عندما يعملون جميعا من أجل مصلحة الحياة الأسرية وهذه الوظيفة تحدد الملامح الرئيسية المميزة للأسرة الحديثة(الجميلي ،1993، 26).

6- الوظيفة النفسية أو إشباع دوافع الوجدان والرفقة: فكل إنسان صغيرا كان أم كبيرا في السن يحتاج إلى إشباع مجموعة من الحاجات الأمنية والانتمائية وتقدير الذات.... الخ، والأسرة كجماعة أولية هي التي تشبع كل تلك أن الإنسان من أجل إشباع حاجته إلى التقدير في حاجة إلى أن يحب وإلى أن يحب، والأسرة هي خير من يوفر ذلك، فالزوجة تحب زوجها ولا تكتمل سعادتها ما لم يبادلها زوجها الحب وكذلك الزوج والأبناء.

7- إضفاء المكانة الاجتماعية للأسرة على الصغارفيحمل الطفل اسم أسرة أبيه ومن ثم تنعكس مكانتها على مكانته الاجتماعية وتظل هذه المكانة كما هي ترتفع طبقا للحراك الاجتماعي الأفقى أو الرأسي للأسرة.

هذه الوظائف للأسرة وغيرها تمارسها منذ القدم فهي ليست وليدة الأيام الحالية ولقد قال "أوجيرن" William F. Ogburn ببعض الوظائف التي تقوم بها الأسرة منذ أكثر من نصف قرن مضى (1934وهي الأسرة تساهم البقاء الإنسان من خلال دورها في إعادة الإنتاج، والحماية حيث يحتاج الطفل رعاية الكبار له والتنشئة الاجتماعية حيث التحكم في سلوكيات الطفل وتربيته ونقل اللغة والثقافة إليه وتنظيم السلوك الجنسي كما تمتع أفرادها بالعلاقات الحميمة وتشعرهم بالرضا والأمن، أيضا إعطاء المكانة الاجتماعية التي يس الأطفال من مكانة الوالدين يستمدها الأطفال من مكانة الوالدين (Schaefer,1992,336).

وبما أن الأسرة نظام حساس وفى تغير مستمر بتغير أحوال وظروف المجتمع فتتغير بناء على ذلك وظائفها حيث أننا إذا أمعنا النظر في أدائها لوظائفها نجدها قد فقدت البعض منها وانتقل مع التحضر إلى مؤسسات أخرى متخصصة.

ولكن الاتهام الموجه للأسرة بأنها فشلت في وظائفها أو خسرة الإهمال المتعمد أو التفكك الأسرى الناتج عن التغير الاجتماعي الذي يحدثه التحضر ليس له ما يبرره إذ أن تحول الوظائف منها إلى مؤسسات اجتماعية أخرى ليس دليلا على إخفاقها ولكنه يدل على أن النظم الاجتماعية الأخرى قد تغيرت أيضا وأصبحت أكثر قدرة على القيام بوظائفها.

ولماذا لا نقول إنها تساعد الأسرة على تحمل أعباء الحياة ومسؤولياتها وتحميها من التوترات الداخلية التي تنجم عن كثرة الوظائف(المهدي ، 125،1998).

أيضا ذكر كل من "فليتشر" Flecher و "أرون" Aron أن الأسرة بذلك التخلي عن بعض وظائفها لا تعتبر في حالة تدهور ولكنها تتكيف فقط مع مطالب المجتمع الحديث، ويرى "فليتشر" أن الأسرة الحديثة تتكيف بطريقة أفضل لمطالب الأفراد والمجتمع عما كانت عليه في الماضي، ويؤكد أن الأسرة الحديثة واحدة من أعظم قصص النجاح في القرن العشرين(أحمد ، 1995،34).

كما نجد "ماكيفر" يعبر عن رأيه في موضوع فقد الأسرة لوظائفها بقوله:

إنه بعد أن فقدت الأسرة وظيفة بعد أخرى عثرت في النهاية على وظيفتها الحقيقية وهي أنها علاقة أولية تقوم على الارتباط العاطفي بين الـزوج والزوجة وأطفالهما حيث لا يمكن لمثل هذا الارتباط العاطفي أن يجد التعبير الحر إلا في ظل الأسرة، ويرتبط ذلك بنمو المجتمع إذ كلما ازداد هذا النمو كلما اتجهت الأسرة إلى التركيز على هذه الوظيفة.

هذا ويعتبر الدعم العاطفي Emotional Reinforcement والصحبة من أهم الوظائف المتغيرة للأسرة فمكن المؤكد أنه في الأسر الناجحة ازدادت درجة التفاهم بين الزوج والزوجة عما كانت عليه في الماضي بسبب المساواة والتفـــاهم المشترك بينهما وزادت قدرة الزوجين في الوقت الحاضر على تقديم الدعم العلطفى كل منهما للآخر، ورغم ارتفاع معدلات الطلاق ورغم كل الأزمات والتحولات الراهنة فإن الأزواج في هذا العصر أصبحوا أكثر قدرة على تحقيق السعادة من الماضي، ولهذا السبب مازال الكثيرون يرغبون في الزواج وتكوين أسرة إذ مازالت الأسرة المكان الحنون الذي يلوذ إليه معظمنا لإرضاء حاجاته العاطفيه في مجتمع تزداد فيه الرسميات.

وهناك وظيفة أخرى نضعها في عداد الوظائف المتغيرة للأسرة المتحضرة مكانة الأسرة، فقد قلت قدرة الأسرة على منح أفرادها اسماً ومكانة موروثة عما كانت عليه في الماضي وأصبح الميل اليوم إلى المكانة المكتسبة لا الموروثة أي المكانة التي يكتسبها الفرد بنفسه وعمله لا بسبب أسرته ومكانتها(بري ،72، 1990)

وقد أضاف "تالكوت بارسونز" أنه برغم فقد الأسرة للكثير من وظائفها فلازالت تؤدى وظيفة مهمة جدا للمجتمع وتؤديها بصورة أفضل ألا وهي وظيفة التنشئة الاجتماعية.

إذن فلا يقتصر دور الأسرة على الميلاد البيولوجي للفرد إنما يمر في إطار الأسرة بما أطلق عليه العالم الألماني "رينيه كوينج" الميلاد الثاني أي تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمي إلى مجتمع بعينه وتدين بثقافة بذاتها.

وهناك قول شائع بأن الأفعال تتحدث بصوت أعلى من الكلمات فالأطفال يقلدون أفعال الوالدين أكثر مما يسمعون تنبيهاتهم، فلو أنهما ذكرا شيئاً وفعلا غيره فإن الأطفال سوف يقلدون ما فعله الآباء وليس ما قالوه، وعلى هذا ففي السنوات الأولى لتنشئة الأطفال الرئيسي يعد الوالدان المثل الذي يحتذيه الطفل وإذا ارتبطت افعالهم مع توجيهاتهم سيؤدي هذا إلى تنشئة اكثر فعالية.

بناء على ذلك نستنتج أن الأسرة هي القائمة بكل ما يخص الطفل في مراحله المختلفة بل تمتد يدها لتؤثر عليه أيضاً بعد اجتيازه مرحلة الطفولة بل في عمره كله، وعلى حد قول "روزفلت": إن حياة المنزل هي أسمى وأبدع ثمرات الحضارة وهي أعظم قوة في تكوين العقل والأخلاق ولا يجب أن يحرم منها طفل إلا لأسباب قهرية.

خامساً : المداخل النظرية في دراسة الأسرة :

هناك العديد من النظريات التي اتخذت من الأسرة وما يتعلق بها من موضوعات وحدة بحثها ودراستها ، وسوف نلقى الضوء على بعض من هذه الإتجاهات النظرية :

1- اتجاه دراسة الأسرة كنظام :

ربما يعتبر اتجاه دراسة الأسرة كنظام أول هذه الاتجاهات من حيث الظهور ، وكان يهتم بأصل النظام العائلي وتطوره وإجراء المقارنات عبر الزمان والمكان ، واعتمد على المنهج التاريخي ، وكان يتصف في البداية باتساع النطاق والأخلاقية ، وقد اتجه الباحثون الذين يتبعون هذا الاتجاه في السنوات الأخيرة إلى التخلص من الأحكام القيمية والاعتماد على الوصف والبحث والاختبار والتحليل الإمبيريقي .

2- التفاعلية الرمزية : Symbolic Interaction

بدأ يظهر هذا الاتجاه في حوالي منتصف العشرينيات من هذا القرن عندما وصف "إرنست بيرجس" Burgess الأسرة بأنها "وحدة من الشخصيات المتفاعلة ، ويسعي هذا الاتجاه إلى تفسير ظواهر الأسرة في ضوء العمليات الداخلية كأداء الدور ومشكلات الاتصال واتخاذ القرارات .

كما يعود إلى "هيربرت بلومر" سنة ١٩٣٧م في مقال تحت عنوان "علم النفس الاجتماعي" صك تعبير "التفاعل الرمزي" ويشير إلى الاتجاه الذي يمثله مفكرون أمثال "شارلز كولى" و "روبرت بارك" و "هيربرت ميد"، وفي مقال لاحق "المجتمع والتفاعل الرمزى" يقول "بلومر" بأن "ميد" أكثر من أي من الآخريـــن في وضع أساس هذا الاتجاه.

والتفاعل الرمزي كما يقول "بلومر" يشير إلى الخصائص المميزة والفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس، فالمتفاعلون لا يستجيبون فقط للآخرين وإنما يؤولون ويعرفون أفعال الآخرين فاستجابة الفاعل ليست فورية ومباشرة وإنما تقوم على تقويم معنى الفعل، فالتفاعل الإنساني

إذن يتوسطه استعمال الرموز من خلال تأويل أو تأكيد معنى أفعال أخرى(زايتلن ، 19933،566) .

وعند تطبيق النظرية على الأسرة نجد أن هدفها هو دراسة العلاقات الشخصية بين الزوج والزوجة وبين الوالدين وأولادهما، ويحاول أتباع هذه النظرية عند دراسة الأسرة استقصاء الأفعال المحسوسة للأشخاص والسلوك المنظور الذي يمكن ملاحظته كذلك اتجاهات أفراد الأسرة نحو بعضهم البعض وتوقعات بعضهم من الآخرين وبذلك فهم يركزون على أهمية المعاني وتعريفات المواقف والرموز والتفسيرات وذلك لأن التفاعل بين بني الإنسان وفقا لهذه النظرية يتم عن طريق استخدام الرموز وتفسيرها والتحقق من معانى أفعال الآخرين.

وبناء على هذه النظرية فإن أعضاء الأسرة يؤثرون ويتأثرون عن طريق الرموز، ويعتبر الاتصال Communication هو المفهوم الأساسي الذي تنتقل به هذه الرموز(الخشاب،57،19933)).

وإذا كان هذا الاتجاه يركز أساسا على دراسة العمليات الداخلية للأسرة ويحدد وحدة الدراسة في العلاقات الدينامية بين الزوج والزوجة والأولاد تحت مصطلحات الحاجات needs وأنماط السلوك Behaviour Patterns وعمليات التكيف Adaptation processes فإنه يفيد أيضا في فهم العلاقة بين الأسرة والمجتمع لأنه يركز على عمليات التفاعل داخل الأسرة مع ربطها بالتفاعل الاجتماعي الذي يحدث في البناء الاجتماعي للمجتمع ، هذا وتعتبر هذه النظرية من أفضل النظريات التي تناولت الاسرة بالدراسة لتناولها لها من عدة جوانب كالاختيار الزواجي والتكيف والعلاقات بين أفرادها وتكوين الشخصية والتنشئة الاجتماعية واتخاذ القرار بداخلها وغيرها .

3- اتجاه دراسة الموقف :

من أبرز الاطر النظرية التي اهتمت بدراسة الاسرة نجد اتجاه دراسة الموقف وقد انبثق من الأعمال النظرية لـ "توماس" وقام بتطبيقه "بوسارد", "بيل" عندما درسا أحاديث الأسرة حول مائدة الطعام Family table talk والشعائر الأسرية Family Rituals إذ يعتبر هذا الاتجاه الموقف المباشر للفرد والأسرة وحدة للدراسة .

وهو يشبه الاتجاه التفاعلي من حيث نظرته إلى الأسرة كوحدة من شخصيات متفاعلة، فالشعائر الأسرية مثلا تعتبر موقفا يحدث من خلاله التفاعل بين الشخصيات القائمة بالفعل في ذلك الموقف، وينتج عن ذلك التفاعل تغيير في السلوك.

4- الاتجاه التطوري:-

ويشترك مع الاتجاهين السابقين التفاعلي ودراسة الموقف في النظر إلى الأسرة كوحدة تتكون من شخصيات متفاعلة إلا أنه لا ينطلق من التفاعل في حد ذاته ولامن السلوك المتأثر بالموقف، وإنما من دورة حياة الأسـرة أو مراحل التطور التي تمر بها الأسرة وأفرادها. (الجوهري،115،1981)

ويقف أغلب علماء الاجتماع الذين يؤمنون بالنظرية التطورية على وجود أربع مراحل منطقية تمر بها الأسرة هي التكوين والتوسع والتقلص ثم الانتهاء.

والاتجاه التطوري في تحليل الأسرة يفترض أن كل الأسر تتطور من خلال مراحل واضحة وعلى الأسر ككل أن تؤدى مهام معينة ترتبط بتلك المرحلة في دورة حياة الأسرة بالإضافة إلى ذلك يجب أن يوضع في الاعتبـار أن بعض ردود الفعل للحياة العائلية قد تتأثر بالمهام المطلوبة من مختلف مراحل تطور الأسرة.

فلو افترضنا أننا مهتمون بدراسة التكيف والرضا الزواجي وكيف يمكن أن يتغير خلال مراحل حياة الأسرة، فإننا نتوقع أنه يتناقص بوجود الأطفال ويزداد بعد أن يغادر كل الأطفال المنزل،

هذا التوقع مستمد من الاتجاه التطورى ومستند على افتراض أن وجود الأطفال يتطلب قضاء الكثير من الوقت والطاقة ويؤدي إلى تخفيض الزمن للمحافظة على علاقات جيدة بين الزوج والزوجة واستمرارها.

5- اتجاه السلوكية الاجتماعية Social behaviourism:

ومن الاتجاهات أيضا التي ننظر إليها بعين الاعتبار في الاهتمام بدراسة الأسرة اتجاه السلوكية الاجتماعية وهو يهتم بدراسة المسائل السلوكية من خلال دراسة المواقف التي يعتبر السلوك الإنساني استجابة لها، فالسلوك الإنساني يحدث في مواقف أسرية، وهذه المواقف تقدم أحسن الفرص لفهم هذا السلوك من منظـــور اجتماعي ولذلك فالأسرة تعتبر من الجماعات ذات الدلالة بالنسبة للفرد ذلك لأنها من أولى الجماعات الهامة من الناحية السلوكية وتشكل من الناحية المنهجية موقفاً استراتيجياً يحتم البدء به عند تحليل المواقف ، ولقد اهتم "بوسارد" بهذا الاتجاه وحدد مفهوم المواقف على انه مجموعة من المؤثرات خارجة عن نطاق الكائن الحي ولكنها تؤثر عليه .

ومن الواضح أن هناك ارتباطاً أو تشابها بين هـذا "الاتجاه السلوكية الاجتماعية" واتجاه دراسة الموقف بتركيز كل منهما على دراسة الموقـف داخل الاسرة والذي توجد فيه الشخصيات المتفاعلة مع اهتمام الاتجـاه الأول بدراسة السلوك الاجتماعي الناتج المواقف.

6- نظرية التبادل :

تعتبر نظرية التبادل من احدث النظريات استعمالاً في دراسة الأسرة والزواج، وهذه النظرية تستخدم مفهوم التكاليف والفوائد تحليل للتفاعلات التي تقوم خلال العلاقات الاجتماعية، كما أن هذه التكاليف والفوائد لا تشير إلى أشياءء مادية ملموسة فقطن ولكنها تشير كذلك إلى أشياء غير مادية مثل المراكز الاجتماعية والحب وغيرها .

وقد قام حديثا عدد من الباحثين باستخدام مفاهيم نظرية التبادل في تفسير العلاقات الزوجية الأسرية، فعن الاختيار للزواج بمنظور نظرية التبادل يقدم "روبرت ويتش" نظرية (الحاجة المكملة) والتي تتضمن تبادل الحاجات وفيها يتم إشباع أكبر قدر من الحاجات النفسية والاجتماعية وفي حالات الطلاق مثلاً الأسرة ترى نظرية التبادل أن السبب في الطلاق يرجع إلى خلل عمليات التبادل وعدم العدالة في توزيع المكافآت أو الفوائد، فإذا شعر الزوجين بأنه يعطى (للزواج) أكثر من الآخر وأن تكاليف هذا العطاء تفوق الفوائد المتوقعة فإن هذا الطرف قد يقرر إنهاء الزواج).

حقيقة إن النظرية تقوم على التفسير الواقعى لبعض الحالات في الظواهر الاجتماعية المختلفة الموجودة داخل المجتمع.

7- نظرية الصراع الاجتماعى Social conflict

يضم مصطلح "الصراع الاجتماعي" في أكثر مستوياته عمومية مجموعة من الظواهر تتراوح الخلافات والمشاحنات الشخصية إلى الصراع الطبقي وهو يضم كذلك المنافسات العلاقات الدولية والحروب.

وأهم فروض نظرية الصراع الاجتماعي هو فرضها بان الصراع في كل نماذج التفاعل الانساني شي طبيعي ومتوم وبالتالي فهو لا يمثل أمرا غير طبيعي أو مخرباً للنظـام

الاجتماعي وللعلاقات الانسانية أي أنه أمر متوقع في كل النظم الاجتماعية بما في ذلك النظم الاسرية والعلاقات والتفاعلات الزوجية، ففي مجال الأسرة إذا كانت معايير وأهداف عمل الأسرة في صراع دالم فإن القضية التي تواجهها ليست كيفية اجتناب الصراع ولكن في كيفية التعامل معه، أي لا تهتم النظرية بالكيفية التي يمكن القضاء بها على الصراع داخل الأسرة ولكن بالكيفية التي تجعل أفراد الاسرة يقومون بوظائفهم واعمالهم اليومية مع كيفية التوفيق بينهم رغم اختلافهم وصراعهم وفي هذه الحالة لا يكون الصراع أمراً سلبياً أو عاملاً مساعدا على تصدع الأسرة، ولكنه ربما يقوى العلاقات ويجعلها ذات معنى أكبر.

ومن المؤكد أن هذا التفسير ليست له صفة العمومية إذ أنه في كثير من الأسر إذا ما وجد داخلها الصراع فإنه حتما يؤثر على درجة تماسك أفرادها إذا لم يكن نتيجته تصدع أسري مؤقت أو دائم. وفي الحالات التي يقوى فيها الصـــراع العلاقات داخل الأسرة هي التي يتم فيها تداركه والقضاء عليه وتلاشى مسبباته مستقبلا وليس معايشته حيث أن التكيف مع الصراع يحدث إذا ما تعذر القضاء عليه فيكون امرا محتوماَ.

إذن مادة النظرية تركز على كيفية إسهام الصراع في استمرارية الجماعات الاجتماعية والعلاقات والأنساق الاجتماعية وتكيفها.

وإذا ما انتقلنا إلى اتجاه آخر ولكنه أوسع انتشاراً وأكثر تطبيقاً على الأسرة انتقلنا إلى االاتجاه البناني الوظيفي في دراسة الأسرة.

8- النظرية البنائية الوظيفية:

وتعتبر النظرية البنائية الوظيفية أحد الاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع المعاصر، وعندما تستخدم كإطار لفهم موضوعات الأسرة فإنها تواجه متطلبات عديدة نظرا لتعدد الاهتمامات والموضوعات المتاحة داخل نطاق الأسرة مثل العلاقات بين الزوج والزوجة والأبناء وكذلك التأثيرات المنبعثة من الأنساق الأخرى في المجتمع الكبير كالتعليم والاقتصاد والدين والسياسة، على الحياة الأسرية وتأثير هذه الحياة على تلك الأنساق

إذن فهذه النظرية تركز على إبراز بناء الأسرة ووظائفها، وقد ظهرت بوادر التفكير الوظيفي في كتابات "إميل دوركايم" إلا أن أهم مفكر في مجال علم الاجتماع الذي كتب في مجال الأسرة من المنظور الوظيفي هو "تالكوت بارسونز". وأهم سمات هذه النظرية هي تشبيه المجتمع بالكائن الحي من حيث التركيب والأداء الوظيفي باعتبار أن الكائن الحي يتكون من أعضاء ولكل عضو وظيفة يقوم بها، والوظيفة هي الدور الذي يقوم به الجزء (العضو) من أجل استمرارية الكل (الكائن الحي)، ويمكن تعريف البناء بالنسبة للكائن الحي بأنه مجموعة العلاقات بين الأجزاء (الأعضاء) أي بين الأدوار التي تؤديها هذه الأعضاء وهذه المفاهيم : يمكننا تطبيقها على المجتمع، فأجزاء المجتمع أفراده، وبناؤه هو مجموعة العلاقات بين الأفراد، ووظيفة الفرد الاجتماعية هي عبارة عن مساهمته في بقاء المجتمع واستمراريته، لهذا عرفت بالنظرية البنائية الوظيفية.

وعند دراستنا لهذه النظرية بتطبيقها على دراسة الأسرة لابد من معرفة القضايا الأساسية للاتجاه البنائي الوظيفي في دراسته للأنساق الاجتماعية عموما حيث تنحصر المسلمات الأساسية لهذا الاتجاه في: -

1- إن كل مجتمع ينظر إليه على أنه كل أي نسق موجد

٢- إن كل جزء في النسق يتأثر بالأجزاء الأخرى، لذلك فإن التغير في أحد الأجزاء من شأنه أن يحدث تغيرات في الأجزاء الأخرى.

2- النسق في حالة من التوازن الدينامي المستمر لذلك فان التغير يحدث في حدود إذن فالنسق الاجتماعي هو محور اهتمام الاتجاه البنائي الوظيفي

وبناء على ذلك فالاتجاه البنائي الوظيفي ينظر إلى الأسرة كنسق اجماعى ذى أجزاء مكونة له يربط بينها التفاعل والاعتماد المتبادل، ويهتم بما اذا كان عنصر ما يؤدى وظيفته أو يؤدى إلى الاختلال الوظيفي داخل النسق الكلي، كما يركز الاهتمام على العلاقات الداخلية للنسق العائلي وعلى العلاقات بين الأسرة والأنساق الاجتماعية الأخرى .

ولقد أوضح لنا "بارسولز" في نظريتة الضرورات الوظيفية الأربع اللازمة لبقاء المجتمع، وهذا ما عرف بنموذج الوظائف الأربع، وبتطبيق ذلك على الأسرة. نجد أن أهم المتطلبات الوظيفية التي تقوم بها الأسرة تتمثل في :

– التكيف: ويشير إلى ضرورة تكيف الأسرة أو تلاؤمها مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها فالتبادل بين الأسرة والاقتصاد مثلا يكون عن طريق التحاق فرد أو أكثر من أفراد الأسرة بالعمل في مقابل الحصول على أجر، ومعنى ذلك أن الأسرة تواجه مشكلة التكيف لمقابلة ظروف الاقتصاد عن طريق العمل واكتساب المهارات.

–تحقيق الهدف: ويشير إلى الموافقة العامة على أهداف الأسـرة ككل، فجميع الأنساق الاجتماعية بما فيها الأسرة في حاجة إلى سبب للبقاء، وهذا يعني وجود أهداف فردية وجماعية يتعين بلوغها مع إيجاد الوسائل الملائمة لتحقيقها.

– التكامل: فيشير إلى العلاقة بين الأجزاء داخل النسق، ومن هذه الزاوية ينظر إلى المجتمع المحلي باعتباره نسقاً فرعيا من المجتمع الكبير، ويبدو التأثير المتبـادل بـين الأسرة وهذا المجتمع المحلي في مشاركة الأسرة في الأنشطة الصناعية والاجتماعية والدينية في الوقت الذي يمنح فيه المجتمع المحلى الأسرة كيانها ويمد لها يد المساعدة خاصة في أوقات الأزمات

–ويتركز اهتمام المحافظة على بقاء النمط: على الموقف الداخلي في النسق الاجتماعي (الأسرة) فهو يهتم بالأفراد (الفـاعلين) وتوقعاقهم وأيديولوجيـاتهم وقيمهم، فقد يعانى الفرد من صراع الأدوار، وتكون الأسرة في هذه الحالـة هي المسئول الأول عن مواجهة ذلك حيث تمتص التوتر وتعطى الاهتمام وتطبعهم تبعاً للأيديولوجيات والقيم الخاصة بها.

وبما أننا الآن نعيش ظاهرة التحضر بكامل معانى تلك الظاهرة والتي خلعت على الأسرة صفات الأسرة الحديثة فلابد من تناول آراء "بارسونز" للأسرة الحديثة أو النووية Nuclear family حيث تناولها من خلال ثلاث زوايا من حيث بنائها ووظيفتها ووضعها في المجتمع، فهو يرى أن في كل الجماعات الصغيرة ميل لظهور تباين في الأدوار فهناك أفراد يختصون بالأدوار الرئاسية وآخرون بالأدوار الثانوية التابعة ويشير إلى أن الجماعات تختلف بناء على محورين:

1- المحور الرأسي الذي يشير إلى التباين في القوة (قائد – تابع).

٢- المحور الأفقى الذي يشير إلى التباين في الأدوار ، الأدوار الوسيلية Instrumental roles والأدوار المعبرة Expressive roles فالأنشطة الوسيلية عبارة عن جوانب التكيف وتحقيق الهدف المحوري، والأنشطة المعبرة هي جوانب التكامل والتوتر لهذا النسق.

وهنا نجد أن الرجل في نظر "بارسونز" يختص بالأدوار الوسيلية وهي التى تربط الأسرة بالعالم الخارجي وتعمل على استمرارها كوحدة كائنة في البيئة المحيطة بها، بمعنى أن عمل الأب ووظيفته هو الذي يحدد الوضع الاجتماعي للأسرة ككل أما المراة فهي تختص بالادوار المعبرة

ويشير بارسونز إلى ان هذا التحديد يرجع إلى العمل البيولوجي لان عملية الانجاب والرضاعة هي عمليات خاصة ولصيقة المراة كما ان طبيعة هذه الادوار تجعل المراة مسئولة عن تحقيق الاستقرار الداخلي للاسرة.

أما في تناول بارسونز لوظائف الأسرة الصغيرة فنجده ينظر إلى أن تقلص وظائف الاسرة لا يشكل أن خطرا يهددها ، ولا يعني انحسارها حيث كانت في الماضي وحدة اقتصادية منتجة ومستهلكة ووحدة إقامة ولكن بعد الثورة الصناعية اخذت هذه الوظائف تتقلص وتختص بها هيئات أخرى إلا أن الأسرة الحديثة برغم نقصان وظائفها فإنها تختص بوظيفتين أساسيتين هما: وظيفة التنشئة الاجتماعية وتكوين شخصية البالغين من أبناء المجتمع، أما عن وضعها في المجتمع وهذا من أسماء بارسونز "بالعزلة النسبية للأسرة الصغيرة" فهو يرى أن هذه

العزلة مناسبة للمتطللبات المعيارية للنسق الصناعي الحديث لأن الأسرة الصغيرة هي النمط الوحيد من انماط الاسر التي تتلائم وتتكيف مع المجتمع الصناعي الذي يركز على قيم العالمية والانجاز الفردي كأساس للنسق الاقتصادي.

الفصل الثالث : الزواج "تحليل سوسيولوجي"

أولا: مفاهيم الزواج :

هناك مفاهيم عديدة للزواج سوف تناول بعضا منها:

فأحد المفاهيم يعتبر الزواج تعاقد بين رجل وامرأة يقصد به استمتاع كل منهما بالآخر وتكوين أسرة صالحة ومجتمع سليم

ووفقا لهذا الرأي، لا يقصد بعقد النكاح مجرد الاستمتاع بل يقصد به أيضاً تكوين الأسرة الصالحة والمجتمع السليم..

وإذا كانت العلاقة الجنسية من أغراض الزواج، فهي ليست كل أغراضه ولذلك فقد عرفه البعض بأنه :

"عقد يفيد حل العشرة الزوجية بين الرجل والمـــرأة وتعاونهما ويحدد ما لكليهما من حقوق وما عليهما من واجبات"..

وهؤلاء يقررون أن الزواج لا يوجد إلا بتحقيق الغرض منه بمباشرة الشخص لحقوقه المقررة بموجب عقد الزواج..

وتبدو أهمية هذا التعريف في أنه إعتبر المرأة طرفا في عقد الزواج وليست مجرد محل له.. وأن لها حقوقا وعليها واجبات تقابل حقوق وواجبات الرجل.

وقد عرفه بعض رجال القانون بأن الزواج هو :

الارتباط بين الرجل والمرأةً إرتباطا يحث عليه الدين ويرتب القانون عليه آثاراً.

وقد عرف المشروع المصرى الموحد لقوانين الأحوال الشخصية لغير المسلمين في مادته الثانية الزواج بأنه :

رابطة شرعية تقوم على رضاء رجل وامرأه بقصد إنشاء علاقة قانونية دائمة وفقا لأحكام القانون وطقوس ديانتهما.

وقد عرف بعض علماء الاجتماع الأمريكيين الزواج بأنه :

إتحاد جنسي شكلى ودائم بين رجل او أكثر بامرأة أو أكثر في نطاق مجموعة محددة من الحقوق والوجبات.

Marriage is a Formal and Durable sexual union of one or more men with one or more women within a set of designated rights and duties.

و تعرفه "هيلين كلارك" بأنه :

عقد يخضع الرجل والمرأة لإلتزامات قانونيـة واجتماعية متبادلة

Marriage is an act that places man and woman under legal and .social obligations to each other.

أما "جيمس كورين" فقد عرف الزواج بأنه :

ليس أكثر أو أقل من إتحاد جنسي دائم يفرضه القانون والقوة أو العادة

Marriage is the more or less permanent sexual union enforced by law, might or custom.

وقد أورد "وستر مارك" عدة تعريفات للزواج أوضحت أن الزواج تنظيـم اجتماعي للعلاقات الجنسية، بين رجل وامرأة يمارسانها خضوعا لدوافـع الغريـزة ومقتضيات الميول الطبيعية.

وقد أدى ذلك بالضرورة إلى وجود الرجل والمرأة معا، ونشوء رابطة بينهما ، فتدخل المجتمع لينظم ارتباط الرجل والمرأة بصياغته في الصورة التي ترسمها النظم الاجتماعية، ويحددها العقل الجمعي للجماعة.. ولذلك تختلف هذه الرابطة باختلاف العصور والمجتمعات.

فإذا كان المجتمع قد نظم ارتباط الرجل والمرأة برابطة الزوجية بمجرد التراضي في عصر من العصور، فإن نفس المجتمع – في عصر آخر – لم يعد يرتضى ذلك بل اشترط ضرورة صياغة عقد الزواج في شكل خاص أو اتخاذ إجراءات معينة . فالخطف الذي كان يعتبر أحد طرق الزواج في كثير من المجتمعات، أصبح الآن جريمة يعاقب عليها القانون.. والمجتمعات الإنسانية المتطورة لا تبيح مباشـــرة رجل أو امرأة للعلاقة الجنسية إلا في صور خاصة وحدود معينة هي الزواج.

وقد ترتب على وجود رابطة بين الرجل والمرأة حقوق وواجبات لكل منهما قبل الآخر، فعقد الزواج يرتب التزمات متبادلة قبل الطرفين، وان اختلفت – باختلاف النظم الاجتماعية والاقتصادية والدينية للمجتمعات – في مدى الحقوق والواجبات التي ترتبها لكل من الزوجين قبل الآخر .

فالشريعة الإسلامية – مثلا – ترتب حقوقا مشتركة للزوجين مثل حل العشرة الزوجية والتوارث بينهما .. وترتب حقوقا للزوج على زوجته مثل الطاعة والقرار في بيت الزوجية والقيام على شئونه ورعايته، وثـبوت نسب الولد إلى أبيه.. كما ترتب حقوقا للزوجة على زوجها مثل العدل والمهر والنفقة.

وقد ترتب على تنظيم الرابطة بين الرجل والمرأة اعتبارهما نواة الأسرة – الوحدة الأولى في المجتمع والمسئولان عن حفظ النوع الانساني وتربية ورعاية أولادهما الذين هم امتداد لحياتهما ولوجود المجتمع وبذلك تحددت مسئويات الزوجين الاجتماعية قبل المجتمع.

ولعلنا بعد أن استعرضنا طبيعة العلاقة الزوجية وما يتميز بـه الزواج، نستطيع أن نضع له التعريف الآتي:

"الزواج تنظيم اجتماعي للعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة يرتب قبلهما التزمات متبادلة ومسئوليات اجتماعية"..

Marriage is a social organization of sexual relations between man and woman, affecting both of them mutual and social .responsibilities

ولا شك أن هذا التعريف أشمل من التعريفات التي أوردها الكثيرون وذلك لشموله العناصر التي تميز عقد الزواج عن غيره من العقود كالبيع والايجاروغيرها .

فالزواج إذن نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية، والزواج هو الوسيلة التي يعمد اليها المجتمع لتنظيم الناحية الجنسية وتحديد مسئولية صور التزاوج الجنسي بين البالغين.

و الجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن جميع المجتمعات سواء في الماضي أو الحاضر تفرض الزواج على غالبية أفرادها، فالزواج إذن نظام عام حتى ولو كان المجتمع يتيح في كثير من الأحيان قيام علاقات جنسية خارج نطاق الزواج.

ثانيا : أغراض الزواج :

إذا تسائلنا ما هي أغراض الزواج:

نجد أن هناك أغراضاً اجتماعية ونفسية ودينية للزواج حيث يعتبر ترويحاً للنفس وإيناسها بالمجالسة وهو الراحة الحقيقية للرجل والمرأة ، كما أن الزواج هو المقوم الأول للأسرة التي هي الوحدة الأولى للمجتمع حيث تتكون مشاعر الألفة والأخوة الانسانية وهو السبيل إلى حفظ النوع الإنساني.

ويرى البعض أن فوائد الزواج خمسة .

(الولد ،وكسر الشهوة ،وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن جميعاً)

فقد خلق الله الإنسان ليستخلفه في الأرض ويعمرها ولن يتم ذلك إلا إذا بقى هذا النوع واستمرت حياته على الأرض يزرع ويصنع ويبنى ويعمر ويؤدي حق الله عليه ولكي يتم ذلك خلق الله في الانسان مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية ، تسوقه بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فرداً وبقاءه نوعاَ، من هذه الغرائز غريزة البحث عن الطعام التي بإشباعها يبقى شخصه، والغريزة الجنسية التي بالإستجابة لها يبقى نوعه.

وقد وجه رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام نداء إلى الشباب فقال

" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج"

ويرى الفقه المسيحي أن للزواج أغراضاً ثلاثة هي :

1- حفظ النوع البشري بالتناسل .

2- التعاون والتعاضد ومساعدة كل من الزوجين للآخر.

3 - تحصين الانسان من الخطيئة وكبح جماح الشهوة بالاقتران الشرعي.

ويرى البعض أن للزواج غاية أولية هي ولادة البنين وتربيتهم وغاية ثانوية هي التعاون المتبادل .

ومن أهم أغراض الزواج الآتى :

1- ممارسة الغريزة الجنسية ممارسة منتظمة ومشروعة ، وبشكل طبيعي غير منحرف
2- حفظ النوع الانساني لضمان امتداد الحياة واستمرار وجود المجتمع .
3- حفظ الاستقرار الاجتماعي للفرد وتكوين الأسرة التي هي الوحدة الأولى في تكوين المجتمع الانساني .
4- الإستقرار العقلي والعاطفي لإمكان توجيه طاقات الانسان نحو الافضل .
5- تحديد المسئولية بالنسبة للاولاد أمام المجتمع .

وفي أغراض الزواج يقول الشيخ محمد زهرة :

الحق إن الزواج مظاهرمن مظاهر الرقي الإنساني وهو راحة النفس الفاضلة ومستقرها وأمنها وسكنها وهو تكاليف إجتماعية فمن أحجم عنه فقد الواجبات الإجتماعية ونزل إلى درجات الحيوان .

غير أن المجتمع من جهة أخرى أضاف أغراضاً مثل التمتع بالجمال أو الطموح في المال (ميراث أو مرتب ..) أو التشرف بالحسب أو النسب من أجل الوصول إلى الجاه ومع ذلك فإن أفضله روحاً ما كان لما يتوسمه الرجل في المرأة من خير وهو ما يرشد إليه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله تنكح المــرأة لأربع لجمالها ومالها وحسبها ولدينها فعليك بذات الدين والخلق تربت يداك (عبد الباقي،1979، 217)

ثالثاً:دوافع الزواج:

مما لاشك فيه أن أسباب الزواج التي تحيط بالفرد في المجتمع وتدفعه إليـه كثيرة جدا ومتعددة، وتختلف تبعا لاختلاف البيئة التي نشأ فيها الفرد. وقد توجد كل هذه الدوافع وقد يوجد قدر منها . إذن فهي متكاملة وليست متقابلة .

وقد تتلخص في :-

1- الدافع الجنسي:

قد يكون الدافع الجنسى سببا للزواج، فلم يستطع الفرد تحقيق رغبته إلا عن طريق الزواج.

٢ – التقليد :

قد يكون التقليد – مجرد التقليد – سببا للزواج عندما يبلغ الإبن – الثامنة عشر فيزوجه أبوه أو تزوجه أمه.. هكذا لمجرد أنه يجب أن يـتـزوج كما يتزوج الآخرون، وكما تزوج أبوه من قبل، دون مراعاة أي عامل آخر.. كأنما الزواج مجرد عادة مما إعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه..

3- الدين:

وفى المجتمعات أو البيئات التي تسيطر عليها العاطفة الدينية تكون الرغبة في "إكمال الدين سببا للزواج .

4 – تحقيق مصلحة سياسية :

قد يكون الزواج أحيانا لأغراض سياسية. وقد ذكر التاريخ القديم والحديث زيجات كثيرة بين الملوك والأمراء لتحقيق مصلحة سياسية .

5- إيجاد عزوة :

فقد يكون السبب هو الرغبة في إيجاد "عزوة" بتكوين أسرة كبيرة ترتبط فيها عدة عائلات برباط النسب والمصاهرة ، وهذا السبب يبدو بوضوح في معظم المجتمعات التي يسودها نظام الحكم الإستبدادي حيث لا يأمن الفرد على نفسه فيسعى لتكوين أسرة كبيرة يحتمى بها .

6- الضغط الاجتماعي:

وقد يكون الضغط الاجتماعي سبباً للزواج، فالمجتمع لا يرحم الأعزب.. وكثيراً ما يتحدثون عن سوء سلوكه. ، والقناة العانس يناقشون أسباب بوارها . فيلتجئ الفرد إلى الزواج ليحميه من هجوم المجتمع عليه وهذا السبب يبدو واضحا في القرى والمدن الصغيرة .

ولعل ذلك يرجع في أصوله التاريخية إلى الأفكار التي كانت تسود المجتمع المصرى الفرعوني القديم، فقد كان الرأي العام لايرتاح إلى الرجل الأعزب، ولم يكن الرجل يعتبر حكيما في أنظار الناس إلا إذا كان متزوجا وكانت لـه زوجة تبادله حبا بحب. ولذلك قال الوزير بتاح حتب. . "إن الرجل يكون حكيما عندما يؤسس لنفسه منزلاً ويحب زوجته"

وفي كثير من المجتمعات ينظرون إلى الشخص الذي لا يتزوج على أنه شخص غير طبيعي، أو يكون موضع سخريتهم وإحتقارهم.

7- الضغط الاقتصادي:

يجد الضغط الاقتصادي مجالا أوسع في الريف حيث يتزوج الرجل لحاجته إلى الأيدي العاملة التي تساعده في عمله في الحقل – سواء أكانت زوجته أو أولاده منها - الذين يبدأون العمل في الحقول في سن مبكرة. (الخولي، 225،1993)

وفي المجتمعات الإنسانية المتمدينة كثيرا ما يبحث الشاب على فتاة عاملة ولها راتب يعينه على متطلبات الحياة .

8- إنجاب الأطفال :

من أهم أسباب الزواج إنجاب الأطفال لحفظ النوع البشري والتوارث.

الفصل الرابع : التنشئة الاجتماعية "دراسة تحليلية"

أولا: مفهوم التنشئة الاجتماعية

ثانيا: الهدف من التنشئة الاجتماعية

ثالثاً: أساليب التنشئة الاجتماعية

رابعا: وسائل التنشئة الاجتماعية

خامساً: المداخل النظرية للتنشئة الاجتماعية

أولا: مفهوم التنشئة الاجتماعية:

إن استمرار المجتمع في البقاء يحتم حصوله المستمر على أعضاء جدد ولذلك فهو يعمل على تحويل المادة الإنسانية الخام في الأطفال حديثي الولادة إلى أعضاء كاملي العضوية في المجتمع (الخولي، 130،1992)..

كما ترتبط التنشئة ارتباطاً وثيقاً بعملية التعلم بل هي في ذاتها عملية تعلم كما جاء في هذا المفهوم بكتاب لـ Leonard Broom :- أن تنشئة الاجتماعية عمليتان في عملية واحدة فهي أولاً عملية يتعلم من خلالها الأطفال كيف يكونون أعضاء مؤهلين أكفاء في مجتمعهم، ومن خلال التنشئة تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل، ومن هنا يستطيع المجتمع أن يبقى، ثانياً هي عملية تنمية الذات.

فالشخص وهو ينمو في جماعة يكتسب كينونة وإحساس بالذات ومجموعة من الخصائص التي تميزه، فالتنشئة الاجتماعية تخلق وتعدل الشخصية الفردية من المهد إلى اللحد ورغم أن علماء الاجتماع يفرقون بين نقل الثقافة وخلق وتطوير الذات إلا أنهما وجهان لعملة واحدة (Broom ,1990 , 69)

ومن المفاهيم التي تركز على التعلم مفهوم التنشئة لدى "وليم لامبرت" حيث يرى أن التنشئة الاجتماعية هي ما يتعلم فيها الفرد كيف يصبح عضوا في أسرته وفي مجتمعه المحلى وفى جماعته القومية منذ الطفولة المبكرة وهي تتقدم مع تقدم النمو(لامبرت،27،19933)

وهناك من المفاهيم التي تضيف إلى التعلم عملية اجتماعية غاية في الأهمية وهي التفاعل الاجتماعي Social Interaction حيث أن التنشئة الاجتماعية بدون تفاعل مع البيئة والجماعات المحيطة لا تأتى بالفائدة المرجوة، فعملية التنشئة الاجتماعية The Socialization process عملية تعلم وتعليم وتربية تقـــوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد طفلا فمراهقا فراشدا ســـلوكا ومعاييراً واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها.

فهي كما قال "أوجبرن" عبارة عن أساليب وعمليات اجتماعية تظهر من خلالها شبكة معقدة من انماط التفاعلات ومن خلالها يستطيع الفرد استيعاب العادات والمهارات السائدة في مجتمعه (Mitchall,1968,27).

أيضاً من المفاهيم التي تهتم بتفاعل الطفل مع البيئة المحيطة ما جاء في كتات Edwin P. Hollander أن التنشئة الاجتماعية هي تبني الطفل مجموعة من القيم وردود الأفعال تحت تأثير البيئة التي ينشأ فيها وأنماط التفاعل في تلك البيئة (Hollander,1981,174)

وجدير بالذكر أن جوهر التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة الأولى هو محاولة للتنظيم الداخلي للسلوك الخاص بالطفل بطريقة تتناسب مع المواقف التي يقابلها في بيئته، وتنشأ القدرة على هذا التنظيم نتيجة للتفاعل مع الأشخاص الذين يرتبطون بالطفل ويكون لهم دلالة اجتماعية معينة بالنسبة له ، يتفق ذلك مع مفهوم "مارجريت ميد" M. Mead للتنشئة الاجتماعية حيث أوضحت أنها "إطار تنظيمي يمكن من خلاله أن يتوافق الافراد ويتوحدوا مع الاخرين حيث ان صفاتهم الاجتماعية تتشكل من خلال الشخصية العامة للمجتمع الكائنين به.

وهناك مفاهيم تركز على ادخال ثقافة المجتمع لتصبح جزءا من ذات الفرد مثل التثقيف وهو يدل على العمليات التي بها يتشرب الطفل الانماط السلوكية التي تميز ثقافة مجتمعه وتميزه عن ثقافة المجتمعات الأخرى، و في الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم الأنثروبولوجيا مصطلح التثقيف" بدلا من مصطلح التنشئة الاجتماعية حيث إنهم يرون أهمية التأكيد على الثقافة أكثر من المجتمع.

وهذا يدل على مدى أهمية الثقافة في المجتمعات المتقدمة إذ تـوازي لديهم التنشئة الاجتماعية للأبناء، ويرى "جيزل Gessel أن الطفولة عند الإنسان هي زمن التنقيف (أي التنشئة والتطبيع)، وفي هذا الصدد يقول "بولر وتشارلز" Boller & Charles "ينتظر كل مولود محيطاً يحتوى على الأشياء المادية وبيئـة من المشاعر والأفكار والمعتقدات وأنماط السلوك المرتبط بها، هذه البيئة الاجتماعيـة الثقافية تحتوى على طرائق الناس التي يكتسبها الطفل مع الأيام وتصبح جزءامن . ذاته الشخصية ولا يستطيع منها فكاكا لأنهما كالهواء الذي يتنفسه، تلك هي طبيعة العلاقات التي عن طريقها يغلف الأشخاص الملتصفون بالطفل، الطفل نفسه بطريقة ثقافية لا يسعه إلا أن يهضمها.

فهي إذن عملية تحويل الكائن البشرى من نمط بيولوجي إلى نمط وظيفي يمكن أن يطلق عليه الشخصية الاجتماعية.

والتنشئة الاجتماعية كما سبق وذكرنا لا تقتصر على مرحلة الطفولة فقط فالتنشئة عملية طويلة المدى Life long process كما أن كـلا من شكل ومضمون التنشئة يتغير على مدار الحياة وذلك ما يجعلنا نذكر أنه يوجد ثلاثة انواع للتنشئة هي:

أ – التنشئة الأولية: Primary Socialization أولية لأنها تحدث في الطفولـة المبكرة وفي هذه الفترة تنمى شخصيات الأطفال ويكتسبون قدرات في التفكير ومهارات اللغة ويصبحون مدركين لأهمية من حولهم.

ب – التنشئة المسبقة (المتوقعة) :Anticipatory Socializatio ولأننا نتقدم من الطفولة وحتى الكهولة فيجب علينا باستمرار أن نطرح الأدوار القديمة جانباً متبنيين أدواراً جديدة، وهذه التنشئة تعدنا للأدوار التي نحب أن نكونها في المستقبل وبسبب هذه التنشئة معظمنا تقريباً يكون معداً للمسئوليات التي ستواجهه فيما بعد.

ج – إعادة التنشئة: Resocialization: ففي حالات معينة يحدث للفرد ما يسمى بإعادة التنشئة الاجتماعية ومعناها أنه يبدأ في تغيير ما درج عليه من قيم وعادات وتقاليد بسبب الانفصال عن المجتمع الذي نشأ فيه، يحدث ذلك مثلاً في حالات الهجرة أو دخول السجن أو المستشفى أو الجيش وما إلى ذلك. وأحياناً ما يكون التغيير بسبب هذه الظروف تغييراً جذرياً.

وهناك مثال شهير يوضح مدى تأثير إعادة التنشئة الاجتماعية على الأفراد يتمثل في جهود الشيوعيين الصينيين لنزع الطابع الاجتماعي عن الأسرى الأمريكيين خلال الحرب الكورية ومحو آثار تنشئتهم الاجتماعية السابقة وذلك بناء على التقرير الذي كتبه "إدجار شاين " Edgar Schein – أحد علماء علم النفس الاجتماعي الذي أجرى مقابلة مع العديد من هؤلاء الرجال عقب إطلاق سراحهم – ولم يكتف الصينيون بمحاولة محو آثار التنشئة الاجتماعية للجنود الأمريكيين بل حاولوا أيضاً أن يعيدوا تشكيلهم اجتماعياً، أي يجعلوا الأمريكيين يؤمنون بالمعتقدات والقيم السياسية للشيوعية الصينية .

هذه هي الثلاثة أنواع للتنشئة الاجتماعية والتي نرى أهمية توضيحها ما دمنا بصدد شرح مفاهيم التنشئة ، ولكن هناك تساؤل هام أيضا وهو هل التنشئة الاجتماعية تسير في اتجاه واحد أم في اتجاهين ؟ أي هل يؤثر الطفل في والديه أو القائمين على التنشئة مثلما يؤثرون هم فيه أم لا ؟ والاجابة تقول أن التأثير متبادل بين الطرفين .

فنحن بلا شك نكون واهمين أشد الوهم لو أغفلنا الطبيعة التفاعلية لعملية التنشئة الاجتماعية لأنها لو كانت مجرد عملية تطبيع اجتماعي كما يــرى بعض الباحثين لخرج الأبناء نسخاً دقيقة من شخصيات الآباء، ولكن شيئاً من هذا لا يحدث ولا يمكن أن يحدث، فكما نغير أبناءنا فإنم يغيرون فينا وبديهى أن قوة الطرفين في الفاعلية ليست متكافئة، فالجيل القائم بالتنشئة أقوى فاعلية والطرف المتلقى أقل فاعلية، وكما جاء في كتاب "بوبينو" أنها عملية ذات اتجاهين فهى تحتوى نوعاً من التأثير المتبادل والمباشر في نفس الوقت بين الطفل وأبويه من ناحية، وبين الاثنين والمجتمع المحيط لهما من ناحية أخرى(الجوهري،83،1991)

وبلاشك فإن الجو الديموقراطي الذي يسود داخل الأسر المتحضرة الآن قد ساعد على هذا التأثير المتبادل في التنشئة حيث يستقبل الآباء آراء الأبنـاء بود وصدر رحب فيكون هناك مناخ خصب لكي تسير التنشئة في اتجاهين. وبما أن هذه التنشئة عادة يمارسها الوالدان مع الأبناء في أوضح صورها في مرحلة الطفولة فلابد من تعريف هذه المرحلة حيث أنها تلك الفترة المبكرة من حياة الإنسان التي يعتمد فيها الفرد على والديه إعتماداً كلياً فيما يحفظ حياته ففيها يتعلم ويتمرن للفترة التي تليها كما تعتبر قنطرة يعبر عليها الطفل حتى النضج الاقتصادي والفسيولوجي والعقلي والنفسي والاجتماعي والخلقي والروحي والـذي تشكل خلالها حياة الإنسان ككائن اجتماعي.

ثانياً: الهدف من التنشئة الاجتماعية:

لقد كانت ولا تزال الغاية الأساسية من التنشئة الاجتماعية في كل الثقافات من أبسطها إلى أشدها تعقيدا هي تربية أشخاص متوافقين ليسهموا في تقدم المجتمع ورقيه، لا ليكونوا عبئا عليه بعدم قدرتهم على التكيف والتوافق(دياب،31،1980) ، وهذا ما تهدف إليه التنشئة الاجتماعية السليمة حيث تتطلب العمل على تكامل شخصية الفرد الاجتماعية بحيث يجرى تزويدة بمتطلبات عملية التكيف الاجتماعي وأساليبها بما يجعله قادراً على مواجهة كل التغيرات التي تتطلبها حياة المجتمعات .

كما أن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل تجعل من الممكن إدخاله في إطار منظومة الأوضاع الاجتماعية، تلك الأوضاع المرتبطة بأداء الواجب وهو ما يدعم مهاراته وقدراته الإدراكية واستعداده للتمكن والاعتداد بالنفس وإشباع الحاجات العاطفية الأساسية للطفل حيث أن الطفل يولد ولديه حاجات لابد من إشبـــاعها بأي وسيلة، والتنشئة يستخدمها المجتمع في تحديد الطرق المقبولة لإشباع تلك الحاجات التي يستحسن بعضها ويستهجن الأخرى .

فالتنشئة عملية ذات جانبين كفي وتشجيعي فهي وإن كانت تفوم على الضبط وكف الطفل عن فعل كثير مما يشتهى، إلا أنها في الوقت ذاته تعينه وتشجعه على أن يتعلم كيف يحقق كثيراً مما يريد، فهي تنهاه عن القيام بأعمال يميل إليها بطبعه وتأمره بأداء أعمال لا يميل إليها بطبعه. فإن أراد أن يتجنب سخط الكبار واستهجانهم وأن يظفر بثوابهم، فلابد له أن يكف بعض دوافعه الملحة وأن يرغم نفسه على فعل ما لا يستسيغ، وعلى هذا النحو تقيم التنشئة الاجتماعية في نفس الطفل بذور سلطة داخلية هي "الضمير" الذي يأخذ في النمو ويقوى بالتدريج مع نمو الطفل ونضوجه خلال مراحل نموه المتعاقبة.

ولكن لا تسير التنشئة على الكف والتزمت المستمر، إنما التنشئة المثلى التي تتسم بجانب ذلك بالمرونة والاعتدال والتشجيع والإثابة على السلوك الحسن.

ثالثاَ: أساليب التنشئة الإجتماعية Socialization styles:

تعني أساليب التنشئة الاجتماعية الطرق يستخدمها القائمون على التنشئة لتربية الأطفال، وإننا لنجد أن هذا الأسلوب المستخدم في التربية يختلف في نوعه ومقدار تأثيره على الطفل باختلاف شخصية المستخدم له ،ومن ناحية أخرى أن الطفل نفسه وطبيعة شخصيته لها دور في تحديد الأسلوب المستخدم معه مما يؤكد الدور المتبادل لطرفي التنشئة مستخدمها ومتلقيها في تحديد أسلوب التنشئة .

ولقد قدم "هاري جونسون " Harry Johnson تعريفا لأساليب التنشئة الاجتماعية قائلاً: إنها تلك الرسائل التي يتعلم من خلالها الفرد القيم والأدوار الاجتماعية المتوقعة منه في مواقف التنشئة التي يتعرض لها، وذلك بقصد التوافق مع المجتمع الذي ينتمي إليه.

ومما لا شك فيه أن كل مرحلة من مراحل التنشئة الاجتماعية والتي تعكس كل منها حقبة زمنية يمر بها الفرد خلال مراحل حياته المختلفة تتطلب أنماطا معينة من أساليب التنشئة التي تمارسها الأسرة مع أطفالها حتى تمكنهم من القدرة على تحقيق قدر مناسب من التكيف الاجتماعي مع الجماعات التي يعيشون في كنفها.

وذلك يعنى في حد ذاته أن أساليب التنشئة هذه ذات طابع معيارى Normative ، وذلك لكي تتفق مع طبيعة المعايير الثقافية التي تشكل الفرد في صورة مجتمعية.

ومن ناحية أخرى نجد هناك علاقة بين مظاهر الحياة المختلفة في المجتمع وبين علاقة الأبناء بوالديهم، فالآباء الذين يودون تنشئة أبنائهم كصيادين يزرعون فيهم قيماً تكون مختلفة عن هؤلاء الذين يودون تنشئة جيل من المزارعين، وكذلك فإن الآباء الذين تربوا

على عادات ومعتقدات صارمة يعاملون أبناءهم بنفس الطريقة التي نشأوا عليها، إذن فعملية التنشئة الاجتماعية لا تنشأ من فراغ ثقافي بل تتأثر بالبيئة الثقافية التي تحيط بالأفراد.((Danziger,1971,133

وعند الحديث عن الأساليب المتبعة في تنشئة الأطفال نجد انها متنوعة وهامة ولها تأثيرها الفعال على مستقبل الأطفال، وسوف نتناول منها الآتي :-

حديثا اهتم المختصون بالطب النفسي والطب العقلي بالعلاقة بين نوعية رعاية الوالدين للطفل في سنواته الأولى ومستقبل صحته النفسية والعقلية، فمن المعروف أنه من الضروري كي يتمنع الطفل بصحة عقلية سليمة أن يمارس علاقة مستمرة مليئة بالدفء والألفة مع أمه، تلك العلاقة يعتقد كثير من الأخصائيين أن لها الأولوية وهي الأساس في تشكيل الشخصية السوية والعقل السليم حيث أكد "لورانس فرانك" Lourance Frank على أن الحاجة إلى الدفء والقبول نعم حاجة أولية للطفل وتتضمن حبا حقيقيا له واهتماما به ولها تأثير كبير على حياته المستقبلية.

وقد سبق الدين الإسلامي في ذلك كل هؤلاء حيث حثنا على الرفق بالصغير وأيضا الرواد الأوائل في الفكر الإسلامي كما سبق وذكرنا في آراء ابن خلـــدون والإمام الغزالي.

ويعد أسلوب الدفء والتقبل Wormth and acceptance ، هذا البعد المعارض للبرود والرفض من أكثر الجوانب تأثيرا في تنشئة الطفل، وتبين البحوث أنه بعد عام من أبعاد سلوك الأم، ويتضمن الإشارة إلى نزعتها للمشاركة الوجدانية وقضاء وقت طويل في اللعب مع الطفل واستخدام التشجيع والتفكير الاستنتاجي في فرض النظام، ويؤدى الدفء والتقبل من جانب الأبوين إلى تكوين عدد من سمات الشخصية المرغوب فيها كقوة الضمير والمشاركة والدافع الانتمائي(إرجايل ، 1982،186). أيضا أثبتت دراسة تجريبية أجراها "روبرت سيرز"

وزملاؤه أن الأطفال ذوى الضمائر القوية غالبا ما يكونون قد تربوا بأساليب مثيرة للحب مثل المديح. ودائما ما تكون العلاقة بين الطفل والأم علاقة تبادلية، فالأم تقدم الحب والمساندة المادية ، بينما الطفل يستجيب بالعاطفة والإذعان Obedience، وكل من الأم والطفل يكسب الرضا Satisfaction من هذه العلاقة(Blum &ublin,1985,226)

إذن فإن تقبل الطفل وخصوصا من الأم شرط ضروري لتنشئة اجتماعية فعالة والنقص في هذا التقبل يحبط حاجة الطفل إلى الحب ويزيد من مقاومته لتمثل قواعد المجتمع.

وفي المقابل نجد هناك أسلوبا آخر للتنشئة يتسم بالقسوة في معاملة الطفل وهو العقاب الجسمى له، ولقد وجد أن استخدام الوالدين لهذا الأسلوب مع الطفل من شأنه أن يوقف السلوك السلمى له داخل المنزل لكن تأثيره ضعيف في المواقف الخارجية، كما وجد أن فاعلية العقاب الجسمى في ضبط السلوك تزداد عندما يكون مصحوبا بالإقناع العقلي.

وإحدى الدراسات بحثت في بعض أعداد مجلة رعاية الطفل الصادرة في الولايات المتحدة ما بين عامي ١٩١٤- ١٩٥١م، موضوع القسوة والرقة في معاملة الأطفال وعلاقتها بمص الأطفال لأصابعهم وممارستهم للعادة السرية وتعلم أسلوب استخدام المرحاض (عملية الإخراج)، وقد ظهرت بعض الاتجاهات، بين عامى ١٩١٤-١٩٢١م ذكرت أعداد المجلة أن الأمهات يتم نصحهن بمعاملة عادة مص الأصابع بقسوة، فيجب تغطية الأيدى بالأكمام وغيرها، وفي عام ١٩٢٩م كان اتجاه معاملة تلك العادات ليس بالقسوة ولكن الاتجاه القاسي في التدريب على الإخراج، ومن عام ١٩٣٨- ١٩٥١م كان الاتجاه السائد باستخدام المعاملة الرقيقة مع الأطفال فالعنف لا يجدى.

إذن من الواضح أن الاتجاه إلى استخدام الأسلوب القاسي في التنشئة يقل تدريجيا بتقدم الزمن وتقدم المجتمعات .

وكما يبدو فإن أسلوب التعامل بين الآباء والأبناء يتأثر بالتغيرات الحادثة في المجتمع سواء كانت فكرية أيديولوجية، أو علمية أو غيرها، فالتغير مثلا في نمط الأسرة من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية صغيرة الحجم قد خلق علاقة أكثر قربا بين الأباء والابناء من شأنها استخدام أساليب أكثر بعدا عن القسوة والتزمت والعنف وأقرب إلى الحب والدفء والديموقراطية.

ولقد أكد "هوفمان" Hoffman على أهمية الطريقة التي يعامل بها الوالدان أطفالهما وأضاف أن العلاقات بين الوالدين تلعب دورا هاما في ذلك وعليه يجب الاهتمام بدراسة هذه الناحية لفهم سلوك الطفل(زهران، 190،1977).

وكما أن للعلاقة بين الزوجين سواء الحسنة أو غيرها دورا في أسلوب معاملة الأم لطفلها، فإن لاختلاف الطبقات والمستويات الاجتماعية والاقتصادية في الأسرة دورا مماثلا، حيث أكدت نتائج أغلب الأبحاث أن الآباء والأمهات الذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا يلجئون إلى العقاب البدني في تنشئتهم لأطفالهم وخاصة إذا أدى سلوك الأطفال إلى إتلاف شئ(البهي،190،1981)، أيضا نجد أن هذه الأسر الكادحة تعلم أطفالها امتهان نفس مهنة الوالد كما أن أطفالها منغلقون على أنفسهم، أما الأسر في الطبقة الوسطى فهي أقل استخداما للعقاب الجسدى وأقل حرصا على تحقيق الخضوع الكامل من جانب الأطفال كما في أسر الطبقة الدنيا، كما تميل أسر الطبقة المتوسطة إلى تعليم الأطفال الاستقلال والتعاون مع الآخرين والأخذ والعطاء، والوالدان في هذه الأسر لا يعاقبون أطفاهم بما ينتج عن سلوكهم من نتائج مختلفة، بل بالدوافع التي أدت إلى تلك النتائج، وهذا ما قد يؤدي بالأب إلى مناقشة

أطفالـه مـاقشـة عقلية ليصل منها إلى معرفة دوافع سلوكهم وأسبابها حتى يتخذ قراراته في ضوء تلك المناقشة، ولذا يكثر الحوار بين الوالدين وأبناء هذا المستوى.

وهنا يتخلى الوالدان عن أسلوب التسلط والتزمت الشديد حيث فرض الرأي على الطفل ومنعه من التعبير عن رأيه، ويعتبر هذا الأسلوب من أنجح أساليب التنشئة الحديثة حيث يتصف أبناء الجيل الحالي بالذكاء وتفتق الذهن وميلـه إلى المحاورة، فالأم التي تشربت الأساليب الحديثة في التنشئة غالبا ما تكون على درايـة كاملة بشخصيات أطفالها، فتعاملهم بما يناسبهم من أساليب كي تأتي بالنتائج الطيبة المرجوة.

وتؤكد ذلك إحدى الدراسات التي أثبتت أن الأبناء الذين يدركون بـــأنهم نشأوا في ظل معاملة والدية تتسم بالديموقراطية والتسامح يغلب عليـهم نضج الشخصية والاتزان الانفعالي، أما الأبناء الذين يعانون من معاملة الوالدين التسلطية فإنهم يتصفون غالبا بالعدوانية وتقلب الانفعالات.

أيضا هناك اختلاف في الأساليب المستخدمة في التنشئة باختلاف مسـتـــوى تعليم الأم وثقافتها فنتائج أحد البحوث أثبتت أن أساليب التنشئة الاجتماعية التي تتبعها الأم في تدريب أطفالها على مواقف الجنس ومواقف العدوان وغيرها من المواقف تختلف باختلاف مستوى تعليمها وتعليم زوجها ومهنته وحجم الاسرة وأن ثمة فروقا بين أساليب المرأة في الريف والحضر.

وهناك أسلوب آخر نذكره تستخدمه الأسرة في تنشئة الطفل وهو تشجيع الطفل ليعبر عن مشاعره وعن نفسه، وفي ذلك ذكر "جيمـــس بريـان" James و"بيري لندن " أنه يحتمل أن ينمو لدى الاطفال اهتمام بإيثار الاخلرين إذا شجع أفراد الاسرة تعبير تاطفل عن

مشاعره وإذا قدم له الوالدان أمثلة للتعاون بدلا من أمثلة للسعى إلى التنافس والمكانة الاجتماعية.

وفى الواقع أن رأى الكاتبين يعتبر صحيحا في الجزء الأول منه والخاص "بإيثار الطفل للآخرين وتعبيره عن نفسه"، أما الجزء الآخر وهو تقديم أمثلة للتعاون أمثلة السعى إلى التنافس، فالأرجح أن تقديم هذه الأمثلة الأولى من الاهمية بمكان لكنها لا تغني عن الأمثلة الأخرى إذ لابد من زرع بذرة التنافس في نفس الطفل لكن هو التنافس العلمي الشريف الذي ينفع به الطفل نفسه وأسرته ووطنه ، أي محاولة تفهم الطفل لمعنى التنافس المجدى أما إذا أبعدنا فكرة المنافسة ومحاولة الوصول إلى مكانة اجتماعية مرموقة لدى الأطفال فسوف تولد لديهم صفة التبلد وعدم الإحساس بالمواقف المرتبطة بهذه الأمور.

أيضا هناك ارتباط بين المنافسة والحاجة إلى الإنجاز فالطفل ينافس زميله في المدرسة مثلا كي ينجز نجاحا أكبر من نجاحه، وعن هذه الحاجة إلى الإنجاز أشار كل "ديفيد ماكليلاند" David Mcclelland وجون و اتكينسون" .John W Atkinson أن هذه الحاجة تحدث بصورة أكثر تكرارا وقوة في الأسر التي تشجع الأطفال على الاستقلال لا على الاعتمادية في سن مبكرة – وقد ذهب "برنـــارد روزين Bernard Rosen "وروى اندراد" Roy Andrade إلى أن الآباء يساعدون على إيجاد دافع إنجاز قوى في الأبناء إذا حددوا أهدافا عالية وكانوا متعاطفين وإيجابيين تجاه أداء أبنائهم ثم شجعوهم على ممارسة مبادرتهم الخاصة، فطالما هناك حاجة إلى الإنجاز، إذن هناك منافسات يعقبها التوصل إلى مكانات مرموقة وبذا يصل المجتمع إلى صفوف المجتمعات المتحضرة المتقدمة.

ومن أساليب التنشئة كذلك أسلوب التفرقة والتفضيل، ومن المعتقد أن التفضيل بين الأبناء الذكور والإناث يسود المجتمع الريفي، إنما في المجتمع المتحضر غالبا ما تتفهم

الأسرة النتائج الوخيمة التي تنتج عن هذا التفضيل فتبتعد عنه، فمن ألزم ما تتطلبه سعادة الأسرة أن يحس كل فرد فيها بحب الآخرين له واحترامـــهم لحقوقه، حيث أن تفرقة الوالدين في المعاملة بين أولادهما غالبا ما تجعل الأخ يكره أخاه ويزعزع الثقة في صلته بوالديه فتحل النفرة محل الحب ويمهد ذلك لأن يكيد الأخ لأخيه بدلا من أن يتعاون معه ويكون عضده وساعده .

وفى دراسة لهذا الاتجاه أثبتت أن اتجاه التفرقة الوالدي يرتبط بالعدوان ارتباطاً موجباً، وهذا يعني أن الأبناء الذين يدركون أنهم نشأوا في أسرة يسودها التفرقة والتفضيل يكونون أكثر عدوانية وكلما تجنب الآباء سياسة التفرقة في معاملة الأبناء ساعد ذلك على انخفاض وكف نزعاتهم العداونية.

ولكن ما هي هذه النزعات العداونية أو ما هو العدوان؟

فالعدوان بمعناه الشائع يقصد به جميع الأساليب السلوكية المتضمنة لبواعث الإتلاف أو التخريب والتعذيب والعنف والسب والتهديد وما إلى ذلك من المظاهر السلبية للسلوك العدوان يوضح هذا المعنى للعدوان مظاهره السالبة وهي المعروفة لدى أغلب الناس، أما الجوانب الإيجابية للعدوان فهي غير واضحة، فالمنافسة مثلا يمكن اعتبارها جانبا إيجابيا للعدوان وله نتائج إيجابية لابد من تنميتها لدى أطفالنا.

وبهذا العدوان الإيجابي أو كما تســـميه "جاكسون" بالحيوية Vitality يستطيع الطفل أن يواجه مشكلات البيئة وإحباطاتها ويتغلب عليها، كما أن التزمت مع الطفل في هذا الموقف من شأنه أن يعيق نمو عدوانه الإيجابي من جهة ويترك العنان للعدوان المدمر أو السلبي من جهة أخرى إلى الحد الذي لا يستطيع الطفل ووالداه السيطرة عليه بعد ذلك، ومنطقياً يبدو أن تدعيم المظاهر الإيجابية للعدوان هو هدف من أهداف أي ثقافة متحضرة لأن شرط التوافق

في أي ثقافة هو توفر قدر من القدرة على مواجهة الإحباط والمنافسة والصمود أمام المشكلات التي تحول دون إشباع حاجات الفرد وذلك ما يتوافر لدى أطفالنا عند تنمية ملكة العدوان الإيجابي لديهم، ودائماً وأبداً فإن نوعية العلاقة بين الطفل ووالديه هى المسئولة أولاً وأخيراً عن شكل الخصائص العداونية له، هل تأخذ شكلها الإيجلبي أم السلبي التدميري؟ وغالباً ما يتولد هذا الشكل السلبي للعدوان من استخدام الوالدين لأسلوب القسوة في تنشئتهم لأبنائهم ولقد أوضح "سيرز" Sears وجود فروق جنسية في الميول العدوانية المرتبطة باستخدام أسلوب القسوة معهم، فالأولاد الأمريكيون يلجئون أكثر إلى العنف المضاد للمجتمع، بينما تلجأ البنات إلى العدوان المخفف، كما أن البنات يعانين من القلق اكثر من جراء سلوكهن العدواني .

ومن أساليب التنشئة كذلك أسلوب "التذبذب" في المعاملة، ويعني إتيان الطفل بسلوك واحد فيعاقب عليه تارة ويثاب عليه تارة أخرى من قبل والديه وذلك من شأنه إدخال عدم الطمأنينة في نفسه وعدم معرفته الصواب من الخطا أيضاً تنعدم ثقته في نفسه وفى الآخرين وهذا ما يتناقض مع الأساليب التربوية الحديثة.

أما أكثر الأساليب استخداماً في المجتمع المتحضر والتي تحرص الأم المتحضرة على استخدامه مع أطفالها هو الأسلوب الديموقراطي القائم على الحوار والمناقشة لارتباطه بالتفكير الحر لأبناء الجيل الحالي والذي ينمى لدى الطفل الثقة في نفسه وقدرته على تحمل المسئولية.

رابعاَ: وسائل التنشئة الاجتماعية:

يأتي الوليد إلى هذه الدنيا لا حول له ولا قوة لا يدرك شيئاً عن نفسه أو عن الآخرين من حوله، وجدير بالذكر أن فترة الطفولة لدى الإنسان تعتبر أطول فترة إذا ما قورنت بفترة الطفولة الأولية لدى أي حيوان من الثدييات وعندما يبدأ الطفل في الإدراك فإنه يكتسب سلوكياته التي يقوم بها ممن حوله.

فعندما يولد الطفل لا توجد له ذات حيث أن الذات تنمو باحتكاكه بالآخرين أي عن طريق التفاعل الاجتماعي والتغير المستمر، والتكيف مع المواقف والصراعات الجديدة ويبدأ الطفل في حياته الباكرة بتقليد الآخرين، ففي السنتين الأوليتين من حياته يلعب مقلداً دور الأم أو الأب ثم يمر بخبرات اجتماعية مختلفة في الأسرة والمدرسة والمجتمع (ماكيلان،6،1980)

وفي ذلك يقول "برون" Brown إن الطفل ينمو في إطار اجتماعي يشـــمل أولاً الأسرة والحيرة، وما تلك إلا منظمات أو وحدات اجتماعية تسمى الجماعات الأولية" Primary Groups تتكون من أفراد قليلين ويقوم التفاعل الاجتماعي بينها على الود والإخلاص المتبادل بين الطفل وذويه، وعندما يبلغ الطفل الخامسة أو السادسة من عمره ينتقل إلى نوع آخر من المنظمات الاجتماعية هي الجماعات الثانوية" Secondary Groups مثل المدرسة والهيئات الدينية والنوادي هي عبارة عن بيئات اجتماعية تختلف علاقات الطفل فيها عن تلك التي كونها في بيئته الأولى، إذ تصطبغ علاقاته هنا بصبغة غير شخصية، كما يأخذ سلوكه شكلاً محددا ويكون التفاعل هنا بينه وبين الجماعات الثانوية على أساس من التنظيم واللوائح المكتوبة.

ولكن إذا ما تساءلنا هل للتنشئة الاجتماعية طريقة موحدة تنقل بها قيم معينة إلى المداسي أو الطفل * يقول في ذلك " Leonard Broom إن التنشئة الاجتماعية تحدث

بطرق متعددة ويدخل فيها أناس كثيرون وتحدث في مواضع متعددة ويمكن أن تكون مقصودة أو غير مقصودة رسمية منظمة أو غير رسمية، وفى العادة تشتمل على تفاعلات، وجهاً لوجه، ولكن تحدث كذلك من خلال الرسائل والكتب ووسائل الإعلام، ويمكن كذلك أن تكون التنشئة قهرية مع شعور المؤثر أوالمتأثر بالقهر والصراع، وأحياناً يكون المقصود بها صالح المتأثر مثلم نجد عندما يحاول الآباء والأمهات إعداد أطفالهم كي يكونوا بالغين أكفاء ناجحين وهذا الأمر هو الطبيعي- وقد تكون التنشئة لمصلحة المؤثر كما نجد في حالة مروجي المخدرات الذين يعلمون الآخرين كيف يتعاطون ويروجون المخدرات.

ويظل الناس يتعلمون ويتغيرون ويتطورون ويتكيفون طيلة حياتهم، ومن هنا تتشكل الشخصيات طبقا للبيئات المختلفة، فشخصية كل عضو من أعضاء المجتمع هي نتاج أجهزة التنشئة الاجتماعية التي توجد في هذا المجتمع مثل الأسرة والمدرسة والمنظمة الرياضية والسياسية وأجهزة الإعلام، وفي ضوء المنهج العلمي لا يمكن أن نغفل الأدوار الاجتماعية الهامة لهذه الأجهزة المشار إليها في شخص المسئولين عنها.

وسوف نتناول دور كل من هذه المؤسسات على حدة، ولا يعني ذلك أن أدوارها منفصلة إنما هي متكاملة ومترابطة معتمداً بعضها على البعض الآخر.

<u>الأسرة :</u>

تعتبر الأسرة أول وأهم المؤسسات التي تقوم بدور التنشئة الاجتماعية للطفل، وبداية نوضح مفهوم الأسرة: فهي الخلية الحية التي تنجب الأطفال بصورة يقرها المجتمع حيث تتولى رعايتهم والعناية بشئونهم من النواحي الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية، وهي أول وسط يلقن الطفل اللغة والعادات والتقاليد و آداب السلوك وقواعد الدين والعرف أي أنها تقوم بأخطر وظيفة وهي التنشئة الاجتماعية.

والعائلة هي إحدى المؤسسات الاجتماعية التي تصل الماضي بالحاضر وتربط الحاضر بالمستقبل، وهي بالإضافة إلى أنها تزود الجنس البشرى بعناصره الفنية من بقاء المجتمع واستمراره، فإنها تعمل على استمرار الحضارات الإنسانية وتقدمها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وسوف تبقى هاتان الوظيفتان استمرار الحضارات الإنسانية والجنس البشري من أهم الوظائف الأساسية للعائلة عبر التاريخ وفي مختلف المجتمعات.

وليس أدل على أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية من قوله تعالى في كتابه العزيز يحكى على لسان نوح عليه السلام حيث يقول بعد أن يئس من هداية قومه طوال عشرة قرون "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً"(سورة نوح الأيتين ٢٦،٢٧).

وذلك دليل على مدى تأثير الأسرة في أجيالها، فإن كانت صالحة فاضلة صلحت الأجيال، وإن كانت فاجرة فلا تنجب إلا فاجراً.

ولما كانت الأسرة أولى الوسائل التي يعهد إليها المجتمع بتنشئة أفراده فقد عنى الدستور المصرى بها إيماناً منه بأهميتها، فالمادة التاسعة منه تنص على أن الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق، ولحماية الأسرة المصرية بعناصرها المختلفة وأهمها الطفولة نص في المادة الحادية عشرة على أن تكفل الدولة التوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسرة وعملها في المجتمع.

ويعتبر دور الأسرة كمؤسسة اجتماعية هو أهم الوسائل في التنشئة الاجتماعية للطفل.

المدرسة :

هي مؤسسة اجتماعية اتفق المجتمع على انشائها بقصد المحافظة على ثقافته ونقل هذه الثقافة من جيل إلى جيل، كما أنها تقوم بتوفير الفرص المناسبة للطفل كى ينمو جسمانيا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا إلى المستوى المناسب الذي يتفق مع ما يتوقعه المجتمع من مستويات وما يستطيعه الفرد وبذلك تكون المدرسة ذات أهداف محددة مشتقة من فلسفة المجتمع وثقافته وامكانياته وخططه المستقبلية وطبيعة العصر (السيد، 73،1993)

وعند انتقال الطفل من الجو الأسرى إلى المدرسة يكون في حوالي السادسة من عمره ليكتسب الخبرات ويتعلم بعد أن يكون قد كون عادات معينة اكتسبها من أسرته.

ويعتبر دخول الطفل للمدرسة أول احتكاك بينه وبين أول وحدة اجتماعية خارجية ويتوقف نجاح الطفل في التكيف مع الوسط المدرسي على الأسس العامــة التي احاطت به أثناء تكوينه الاجتماعي داخل الأسرة ومن الطبيعي في حالة الظروف السوية أن يتعاون الطفل مع غيره من الأطفال لكسب رضا مدرسته لأن المدرسة في نظره الذات العليا فهي التي تعاقب المخطئ وتثيب المحسن وهي من حيث كذلك ذات تأثير كبير في تكوين خلق الطفل.

وعند انتقال الطفل إلى المدرسة وهو عالم أوسع وأرحب مما كان يعيش فيه داخل الأسرة يجد نفسه أمام مواجهة عدة أشياء يتفاعل معها، هناك الفصل الدراسى بمن فيه من زملاء أيضا المنهج الدراسي الذي يدرسه، وهناك الأهم وهو المدرس الذي يتعامل مع الجميع، كل تلك الأشياء تؤدي دوراً كبيــرا في تنشئة الطفل فمع الزملاء تقوم العلاقات والأخذ

والعطاء والشد والجذب، وسوف نتناول دور هؤلاء الزملاء عند تناول دور جماعة الأقران في التنشئة الاجتماعية . أما عن المنهج المدرسي والنشاط فيلعب دوراً هاماً في إعادة تنظيم وتدعيم قيم الصبى، فيتعلم حينئذ توجيه سلوكه توجيهاً جديداً يهتم بالتحصيل ويعي معنى النجاح والفشل ويدرك أهمية تحصيل دروسه ومن ثم قيمة التحصيل في تحديد مستقبله، وتؤدى المدرسة وظيفتها في التنشئة باعتبارها سلطة جديدة في عالم الصبى تفرض عليه التزامات معينة وتوجه سلوكه توجيها خاصاً. أما عن المدرس ودوره فهو أهم دور في المدرسة بل يعتبر كل المدرسة فهو القدوة، وفي هذا تشير الدراسات النفسية إلى أن المدرس غالباً ما يعمل كنموذج للطفل، فهناك ارتباط بين سمات المدرسين وسمات تلاميذهم، وكما أشارت "برندا" "R. Brenda (١٩٥٠م) إلى أن الأطفال يغيرون بالفعل أنماط سلوكهم لتتطابق وتتماثل مع أنماط سلوك مدرسيهم، وهناك دراسة أخرى لكل من "يوندو" Yondo "وكاجان " أمدتنا بالدليل على أن التلاميذ لا يقلدون مدرساتهم في السمات العامة لشخصياتهم فقط بل كذلك السمات الانفعالية والاجتماعية حيث اتضح أن الأطفال الذين كانت لهم مدرسة مترنة أغلبهم قلدوها في نمطها المتزن والعكس وجد أن الأطفال الذين كانوا بدرسون تحت ايدى مدرسه متهورة قلدوها في التهور والاندفاع.

ولا يعنى توضيح دور كل عنصر في المدرسة على حدة أنها تفصلها، إنما هي كل لا يتجزأ، ففي النهاية نقول دور المدرسة .

فالمدرسة مسئولة عن عملية التعلم وتعليم الأطفال الاتجاهات والقيم والأساليب التي اتفق عليها المجتمع في المعاملة والتفاهم، وعن تكوين الاتجاهات التي تتمشى مع فلسفة المجتمع الذي يخدمه، فالمجتمعات الاشتراكية مثلا لها فلسفة تختلف عن المجتمعات الرأسمالية، كما تهتم المدرسة بتقديم الرعاية النفسية لكل طفل، فعلى الرغم من أن المدرسة تحوى عددا كبيرا من الأطفال، كل طفل له من المشكلات الصعوبات ما قد يميزه عن غيره فإن المدرسة من واجبها أن تحاول قدر الإمكان أن تقدم لكل منهم المساعدات لحل مشاكله، وأن تساعده في الانتقال من طفل معتمد على غيره إلى رجل يستطيع أن يستقل بنفسه معتمدا

عليها ، كما أن الجو العام الذي يميز المدرسة يؤثر في شخصيات الاطفال وما يترتب عليها من سلوك.

وتأكيداً لهذه المقولة نجد أن أساتذة التربية "ميرا سادگر" و "ديفيد ســـادگر Myra Sadker and David قد لاحظا أنه على الرغم من كثرة من يعتقدون أن مسألة الجنس Sexism في الفصل الدراسي قد اختفت في بداية السبعينيات إلا أنها لم تختف بعد، حيث رأسا دراسة استمرت ثلاث سنوات راقـــب خلالها الباحثون طلاب أكثر من (١٠٠ فصل دراسي) في أربع ولايات فوجدوا أن المدرسين يمدحون الأولاد أكثر من البنات ويقدمون للأولاد المزيد من المســـاعدة الأكاديمية بالإضافة إلى أنهم يكافئون الأولاد على سلوك معين ويعنفون البنات على نفس السلوك، كذلك في إدراك الفروق الجنسية حيث يتم تعليم الأطفال منذ مرحلة عمرية مبكرة أن يراعوا الفروق بين الجنسين، وملاحظة نظرة المجتمع المختلفة للولد عن البنت، هذه النظرة تؤكدها الكتب المدرسية ، فمثلا المجتمع لا قبل ان يكون للولد عروسة لعبة (دمية) بعد مرحلة الحضانة (Schaefer,1992,118) ، في حين أن البنت تكون لها الدمية حتى سن متأخرة، وبعلها الكتاب الطاعة والخضوع بينما الولد تكون له لعب الذكاء والتفكير، إذن الكتب المدرسية ما زالت تمجد الفروق الجنسية بصفة ملحوظة ولا تعترف بأن المرأة بدأت تغزو أدوار الرجال.

ولا ننسي الدور الذي تقوم به المدرسة بالنسبة للأطفال الذين يعانون نفسيا فهي تسهم إلى حد كبير في تحقيق تكيف الطفل وذلك إذا بذلت جهوداً للكشف عن الصراعات وعوامل الإحباط التي تكمن وراء ما يبديه الأطفال من مخاوف ومشاعر الدونية والقلق التي تؤدي بدورها إلى لجوء الطفل إلى الحيل اللاشعورية الهروبية والدفاعية، والكشف عن تلك العوامل هي الخطوة الأولى في سبيل علاج الأنماط السلوكية الشاذة.

وعملية التنشئة الاجتماعية كما قال "فيرتشليد" ترتكز أساساً على المدرسة التي هي أساس كل المجهودات والأهداف التعليمية المنظمة والتي تعطى العملية التعليمية اتجاهاً

محدداً، كذلك تعتبر امتداداً للأسرة في هذه العملية فنجاح رسالتها لا يتحقق إلا بتعاون الاثنين معاً، ولقد أفصح " بارسونز" عن ذلك مؤكداً أن التربية الأسرية تدعم الوظيفة التربوية للمدرسة ولها دور حاسم لا يقدر في التأثير على السلوك، كما أن القيم الأسرية التي ورثها الطفل قبل التحاقه بالمدرسة تنعكس على أداء سلوكه في المجتمع الخارجي – كما حلل "بارسونز" موقف الأسرة من القيم الجديدة (التي يكتسبها الطفل من المدرسة، وأثر موقفها من هذه القيم على سلوك الصبى، فأوضح أنه إذا وقفت الأسرة موقفاً سلبيا من القيم التي يتلقاها الطفل في المدرسة أو نبذتها وأعلنت رفضها لها صعب على الطفل الاندماج فيها أو التوحد معها، كما أشار إلى أن خوف الصبى من العقاب المدرسي يقلل عندئذ من ولائه لأسرته ويتجه إلى المجتمع الجديد بشخصية تحمل قيماً مزدوجة متعارضة بعضها توارثه من البيت وبعضها لقنته له المدرسة ، إذن نمو الطفل يعتبر عملية تكيف للمؤثرات داخل كل من تنظيمي الأسرة والمدرسة، وإذا ما وقع الخلاف بينهما حدث الخلل النفسي لدى الأطفال حيث يصبح من المتعذر عليهم التكيف مع متطلبات كل منهما.

فمثلاً يعتقد كثير من المربين أن المدرسة مكان ملائم لتعليم الصغار الأمور الجنسية وما يتعلق بوسائل منع الحمل والحياة الجنسية، ولقد دفع الانزعاج المتزايد من أخطار مرض "الإيدز" السلطات إلى الدعوة إلى دور أكبر للمدرسة في هذا الصدد، ولكن بعض الآباء والأمهات يرون في هذا تعدياً من المدرسة على حقوقهم ويطلبون أن يظلوا هم المصدر الوحيد للمعرفة الجنسية لأطفالهم.

وهذا ما لا يحدث في مجتمعنا الشرقي حيث ما زال الحرج يحيط ذلك الموضوع من كل ناحية سواء من الاسرة أو المدرسة.

وأخيرا نتطرق إلى معرفة العوامل المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية في المدرسة ومن أهمها عدد التلاميذ حيث نرى في هذه الأونة الأعداد المتزايدة في المدارس وهذا ما يؤثر

تأثيرا سلبيا على العلاقات الاجتماعية السليمة بين التلاميذ بعضهم وبعض وبينهم وبين مدرسيهم.

كذلك التكوين السنى والجنسى لمجتمع المدرسة حيث تختلف الأعمار ويختلط الجنسان، وهذا ما يعطى التلميذ فرصة التفاعل مع جماعات سنية وجنسية مختلفة إلا أن التفاوت الكبير في ذلك وعدم الإشراف والتوجيه قد يـؤدى إلى إكساب التلميذ أنماطاً سلوكية لا تتناسب مع سنه أو جنسه.

<u>جماعة الرفاق:</u>

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (الغزالي ،242) في هذا الحديث توجيه نبوى حكيم نحو التحقق والدقة في اختيار الصديق لانه مرآة خليله تنعكس عليها صورة صديقه.

وكما يقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يفتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى من الردي

يوضح الشاعر هنا مدى أهمية الصداقة في حياة الإنسان لدرجة أننا نعرف صفات الشخص بمعرفة صفات صديقه، كما يحث على مصادقة خيار الناس لتأتير الصداقة على خصال الأفراد.

فجماعة الرفاق هي مجموعة الأصدقاء والزملاء في البيئة الخارجية التي تحيط بالطفل في المدرسة أو الحي أو النادي، ولقد برزت أهمية هذه الجماعة في تشكيل قيم الأفراد مع التحولات الاجتماعية في العقود الأخيرة التي كان مـن نتائجها ضعف الروابط الاجتماعية بين الآباء والأبناء وظهور ما يسمى بصراع الأجيـال بين أعضاء الأسرة الواحدة تجاه مواقفهم من

القيم المختلفة الموجودة في ثقافة المجتمع ، ومن أسباب ضعف هذه الروابط الأسرية، انتشار ثقافة الشباب الفرعية في المجتمعات الحديثة وزيادة التطور والتحضر باتجاه كل من الوالدين للعمل خارج المنزل تاركين فراغا بداخله ولا يملىء إلا عن طريق جماعة الرفاق، حيت يتعرض الطفل لقدر من التعيلم غير المقصود وغير الرسمى، فتمثل هذه الجماعة بالنسبة للطفل اختيار في الصحبة والعلاقات والأنشطة التي تكون مبنية على اهتمامات الأعضاء الفردية.

وبناء على ذلك تعتبر هذه الجماعة بناء اجتماعياً غير رسمي تضم – عدداً من الأفراد متقاربين سنا ومحل إقامة مثلا وينشأ بينهم تفاعل شخصى مباشر لتكوير مجتمع خاص بهم يتحقق فيه تطبيعهم اجتماعيا من خلال التجربة والممارسات العملية حتى يتمكن هؤلاء الأفراد من التخلص من السيطرة الاسرية إلى استقلال الراشدين منمية لديهم إحساسهم بالقيم والاتجاهات والأدوار التي يقومون بها في المجتمع .

وجدير بالذكر أن هذه الجماعة تبدأ في مرحلة مبكرة من العمر (في عمر الحضانة مثلا والمدرسة الابتدائي) ونسميها جماعة اللعب ثم في مرحلة المراهقة وما بعدها ونسميها جماعة الاصدقاء.

ولقد أشارت "برندا" في دراساتها إلى أن تطابق الطفل مع جماعة أقرانه في المواقف المختلفة غالباً ما يكون بصورة أكبر من تطـــابق الراشد مع جماعته، أي نادراً ما يختلف الصغير مع الأقران على عكـــس الراشد الذي يكون أكثر نضجاً مما يجعله يشعر بذلك فيميل إلى الاستقلال بالرأى والاختلاف مع من حوله.

والملاحظ دائما أنه في المنزل يميل الوالدان إلى السيطرة على الأبنـــاء، وفي المدرسة على الطفل أو المراهق طاعة المدرسين والإداريين، ولكن داخل جماعة الرفاق يستطيع كل عضو أن يؤكد ذاته بطريقة ربما لا تكون ممكنة في مكان آخر.

ولقد أوضحت الدراسات التي قام بها " شريف مظفر" أن مدى تأثر الفرد بالصحبة ومدى ما يتقبله من قيمها واتجاهاتها ومعاييرها هو أمر يتوقف على العلاقة بين الفرد والصحبة، فكلما ازدادت درجة هذه العلاقة ازداد مدى تمثل الفرد لما اصطلحت عليه الجماعة من أنماط سلوكية.

كما أوضح "بارسونز" أن ثقافة المراهق كما تبـــدو في جماعات الرفاق وأسلوب الحياة الشائع فيها توسع من المسافة بين المراهق وبيئته الأســـرية، وهي تؤدي في بعض الأحيان إلى انشقاق عنيف عن دائرة الأسرة المقيدة والدخول العالم إلى الخارجي(روشيه ،185،1981) ومع ذلك يظل كل المراهقين تقريبا في ثقافتنا الشرقية بعامة والمصرية بخاصة معتمدين اقتصاديا على الوالدين، والغالبية العظمى يظلون مرتبطين عاطفيا، وهذا لا يقلل من أهمية جماعة الرفاق، إنها تمثل أهم خبرات الحياة لدى الأطفال وتتضمن هذه الخبرات أهم العوامل التي تحدد شخصية الطفل اللاحقة في عالم الكبار، وإننا لنجد أحيانا أن الآباء يبعدون الطفل عن الانضمام لجماعة الرفلق لبعض الأسباب التي في أذهانهم، وهؤلاء الاطفال يحرمون –بسبب ذلك التصرف من أبائهم – من خبرة هامة في حياتهم كما يحرمون من الاحساس بطفولتهم مع أقرانهم ، وغالبا ما يؤثر ذلك عليهم ويسبب لهم بعض المشكلات في حياتهم المستقبلية.

والسبب في حرمان بعض الأبناء من انضمامهم إلى جماعة الأفران هر الخوف من تعارض القيم، وأحيانا ما تتعارض قيم جماعة الأصدقاء مع قيم المنزل ومثال على ذلك أبناء المهاجرين الذين عليهم أن يتعاملوا مع مجموعتين من القيم قيم الوالدين وقيم الرفقاء في المجتمع المضيف، وعندما تتعارض قيم المجتمع الكبير مع قيم المنزل أو في الجماعة

العرقية ربما لا يكتمل فهم الطفل لتلك القيم وربما يحدث داخله صراع فيما يتعلق بأي من مجموعتى القيم يجب أن يتبع.

وليس من شرط أن يكون التعارض بين أبناء المهاجرين وإنما بين أبناء الوطن الواحد، وثمة سببان يجعلان الأطفال أكثر قابلية وتعرضا لتأثير جماعة الأتراب التى تتعارض مع القيم الوالدية، السبب الأول أن الطفل الذي ينشأ في جو منزلى غير عطوف يشعر بعدم الأمن وتصبح حاجته للتقبل والعطف من قبل الآخرين قوية وماسة، وفى مثل هذه الحالة لن يحرص الطفل على تجنب تخييب آمال والديه لأنهما لم يكونا عطوفين نحوه، فإذا قبلته الجماعة فإنه قد يتخذ قيمهم لنفسه في شغف وحماس ، أما السبب الثاني لهذه القابلية للتأثر بالأتراب فله مصدره في إخفاق الولد في التوحد القوي مع أبيه أو البنت في التوحد مع امها خلال السنوات من الثالثة إلى السادسة، وإذا لم يحقق الطفل هذا التوحد فإنه سيبحث عن نماذج بديلة يتقمصها ويتوحد معها، عندئذ ستتوافر لديه دوافع قوية لتمثل الاتجاهات النفسية لقادة جماعة الأتراب، إذن فإن الطفل دائما ما ينحاز إلى البيئة التي تظهر له العطف والحب وتوفر له التوحد مع أعضائها فيتمثل قيمها .

وبعد إيضاح دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية ومن بعدها دور المدرسة ثم جماعة الرفاق تتساءل هل هناك ثمه فروق بين دور جماعة الرفاق ودور كل من الأسرة والمدرسة في تنشئة الطفل ؟

في ذلك نذكر أن دور جماعة الرفاق يختلف عن دور الأسرة والمدرسة من جهتين، الأولى أن علاقة السلطة داخل الأسرة أو المدرسة تظل محكومة بمبدأ السيطرة والخشوع، بينما داخل جماعة الرفاق على قيم الندية والديموقراطة ، والثانية أن جماعة الرفاق تهيئ لأعضائها مجالا أرحب للتكيف مع البيئة الاجتماعية والثقافية بعكس الأسرة والمدرسة.

كما أن هناك فرقا هاما بين نوعي التنشئة لكل من الأسرة وجماعة الرفاق ، أن تنشئة الأسرة تعد الطفل للمشاركة في المجتمع وفى أجزائه المختلفة (مثل الطبقة الاجتماعية والجماعات العقائدية وغيرها) التي تحتل الأسرة مكانة معينة فيها، أما جماعة النظراء فهي تتدرج مع الطفل بمرور الوقت حيث تربى وتنشئ الطفل أولا في عالم الطفولة ثم تنتقل به إلى عالم الشباب إلى جانب ما تتضمنه من قيم ووجهات نظر متباينة تبعا لتغيرات السن وتدرجه.

وهكذا نجد ان لجماعات الرفاق دورا مهما في تشكيل ثقافة الفرد فعلماء النفس يجمعون على أن الخبرات الاجتماعية السليمة والعلاقات الكثيرة التي تتوفر للطفل في السنوات الأولى من حياته لها دور هام في تكوين وبناء شخصيته وسلوكه ومواقفه واتجاهاته وتوافقه النفسي والاجتماعي، وبذلك تمارس جماعات الرفاق دورها في إعادة تشكيل القيم الاجتماعية، وتصبح أداة مهمة من أدوات التنشئة وخصوصا في المجتمعات المتحضرة التي لا تتمتع بروابط أسرية قوية.

وأخيرا تستطيع أن نوجز وظائف جماعة الأصدقاء كما ذكرها (فجهرست) كالاتى: -

[1] أن يجد الطفل من يسايره ممن يشابهونه في العمر.

[٢] تنمية الحساسية نحو القيم.

[٣] تكوين الاتجاهات والأدوار الاجتماعية.

[4] أن يصل إلى مستوى مناسب من الاعتماد على النفس

إذن فإن الصحية تعتبر مدرسة يتعلم فيها الفرد طفلا فمراهقا ما لم تعلمه له الأسرة والمدرسة وخصوصا سد النقص في المعلومات التي لا يعرفها المراهق عن المحرمات الاجتماعية والتي يتحرج من معرفتها عن طريق الأسرة أو المدرسة كالمعلومات الجنسية مثلا وغيرها، كما يكتسب الفرد عن طريقها إلى جانب الخبرات المعرفية والمهارات الاجتماعية، مجموعة كبيرة من أنماط التفاعل الاجتماعي من خلال تعامله مع أقرانه في كثير من المواقف الاجتماعية المختلفة، كذلك تتيح جماعة الصحبة للفرد اكتساب مجموعة من القيم والاتجاهات مثل التعاون والمثابرة والمنافسة وممارسة دور القيادة وفهم دوره في الجماعة

ومحاولة معرفة توقعات الجماعة منه، كل هذه القيم يعرفها الفرد من خلال وجوده داخل جماعة الأقران، وهذا ما لا يمكن معرفته من خلال وسائل التنشئة الاجتماعية الأخرى.

وسائل الاعلام:

إن الحديث عن وسائل الإعلام ودورها في التنشئة الاجتماعية للطفل بالغ الأهمية، يتأتى ذلك من أهمية هذه الوسائل وجدية تأثيرها على الافراد جميعا وعلى الأطفال خصوصا. وعن نشأة هذه الوسائل نجد أن الصحف والدوريات ظهرت في الغرب في نهاية القرن الثامن عشر، لكنها لم تبدأ في التأثير الفعال في الـنـــاس إلا بعد قرن من الزمان، ثم ظهر الاتصال الالكتروني الإذاعي والتليفزيون ذو التأنـــير الأقوى على الناس، ويعتبر الإعلام درب من دروب الضبط الاجتماعي Social control الذي يهدف إلى توجيه أفراد المجتمع من جانب والتعبير والتنفيس عنهم من جانب آخر، لذا فإن المواد الإعلامية أشبه بمرآة تعكس ما هو قائم في المجتمـع.

وتعمل على دعم إيجابياته ونبذ واستبعاد سلبياته، ويمكن القول أن الدور الرئيسى للإعلام يتمثل في صيانة اتجاهات وقيم الشرائح الاجتماعية المختلفة بهدف رسم معالم الشخصية القومية بما يتفق والأيديولوجية القائم عليها نظام المجتمع ككل).

كما تقوم وسائل الإعلام المختلفة بنقل الثقافة من جيل إلى جيل باعتبارها أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف ونشر الأنماط السلوكية بين الأفراد وتحقيق التكامل بينهم، وجدير بالذكر أن أكبر تأثير لوسائل الإعلام يكون على الأطفال.

ويتوقف تأثير وسائل الإعلام في الطفل على عمره وخصائص شخصيته التي استمدها من الوالدين في الأسرة، أي أن بلورة الطفل للثقافة المستمدة من أي وسيلة إعلامية تختلف من طفل عمره خمس سنوات إلى طفل آخر يبلغ من العمر تسع سنوات، حيث القدرات العقلية والإدراكية لطفل التاسعة أكبر من طفل الخامسة، أيضاً تختلف من طفل عدواني إلى آخر مسالم فكل يبلور ما يقرأه وما يراه على حسب الطابع المميز لشخصيته.

ولكن ما هي الثقافة التي نتحدث عنها؟

عرفها "كروبير" بأنها مجموع ما يتعلم ويتقبل من نشاط حركي وعادات وتكنولوجيا واحكام وقيم وما ينشأ عنها من سلوك وهذا المفهوم عام وشامل ، ولأن محور هذه الدراسة هو الطفل الذي له ثقافة عامة به، إذن مفهوم ثقافة الطفل يعنى رعاية تلقائية للناشئين في التعبير عن اشخصيتهم وحفز طاقاتهم الخلاقة الكامنة بحيث تتلاحم مع الواقع فيبدعون في تحقيق انجازات تجسد آمالهم وأفكارهم ووجداناتهم المتفتحة.

أما مفهوم ثقافة الطفل هنا فهى : كل ما يستمده الطفل من عادات وتقاليد وقيم وأفكار ونشاط وتكنولوجيا سواء من وسائل الإعلام أو الجماعات المنتمـي إليها ثم يعبر عنها بسلوكه الخاص الذي يتناسب مع عمره وشخصيته.

إذن أهم وظيفة لوسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية للطفل هي إمـداده بالثقافة التي تقوم بدورها بتشكيل شخصيات الأطفال وخصوصاً في سنين حياتهم الأولى لتحويلهم من مجرد كائنات حية إلى كائنات بشرية اجتماعية.

أن وسائل الإعلام كثيرة ومتنوعة وخصوصاً في هذا العصر. عصر التكنولوجيا فمنها المقروءة كالصحف والمجلات والكتب.. والآن الكتب والمجلات المتخصصة للأطفال والتي

تتناسب مع تفكيرهم باختلاف أعمارهم- أيضا الوسائل المسموعة والمرئية كالراديو والتليفزيون والفيديو والسينما تلك الوسائل هي من الأهمية بمكان في التنشئةة الاجتماعية للطفل، أكدت هذه الاهمية دراسة "بيترسون Peterson و ثرستون Thurstone حيث أظهرت أن الاتجاهات الاجتماعية للأطفال أمكن تغييرها عن طريق فيلم شاهدوه إذ أشاروا إلى أن الاتجاهات العنصرية قد تغيرت إلى اتجاهات متعاطفة بعد رؤية فيلم سينمائي، كما أبدت ذلك أيضا دراسة "ماكو" Maccoby.

إذن وسائل إعلام الطفل من صحف وبرامج إذاعية وتليفزيونية.... الخ تعد أنشطة معرفية واجتماعية ووجدانية لها صلة وثيقة بتعليم الطفل وتنشئته، بالإضافة لكونها وسيلة الطفل للتعرف على الفنون والآداب وتذوق الرفيع منها، مما يساعد على إكساب شخصية الطفل أبعادا نفسية واجتماعية سليمة تتفق مع أهداف المجتمع في التقدم والتطور.

ولقد أثبتت أبحاث إعلامية عديدة أن تبنى الطفل لوجهات النظر المقدمة له عن طريق ما يعرف "بنماذج القدوة Exemplary Models من خلال وسائل الإعلام المختلفة – خاصة المرئى منها- كان له أثر كبير على تبني الطفل مفـــاهيم وأنماط سياسية وثقافية وسلوكية جديدة، حيث يصبح الأطفال القوة الأساسية المهيأة – بطبيعة تكوينهم البيولوجي والنفسي والاجتماعي – لتبنى أساليب ومفاهيم وطرق جديدة في التفكير والسلوك(معبد ،85،1991).

وكم من قصص تاريخية وبرامج ومسلسلات تحمل السير الذاتية لكثير من الأبطال والعلماء أثرت في نفوس كثير من الأطفال وغيرت من اتجاهاتهم وجعلتهم يضعون هؤلاء الأبطال والعلماء قدوة أمام أعينهم ومثلا حقيقيا يحذون طريقه.

وكم من دراسة أوضحت أن الشخصيات التي تراها بانتظام في التليفزيـون من الممكن أن تصبح ذات مغزى في حياتنا وتصبح آراؤها مهمة بالنسبة لنا ، فالمادة التليفزيونية تزودنا

بالخبرات الخاصة بالأدوار المختلفة. أيضا تزود وسائل إعلام الطفل بما تبثه من ثقافة بالأنماط السلوكية والثقافية لإشـــباع حاجاتـه وتـزوده بمجموعة من الأهداف وتخلق لديه الرغبة في الاهتمام بها وبتحقيقها باعتبارها حاجات أساسية للإنسان.

فالأعضاء الجدد في المجتمع (حديثي الولادة) يجب على المجتمع أن يتولاهـم بالتنشئة والإعداد الذي يتم بإكسابهم نظم المجتمع الاجتماعية، وتدريبهم على شغل أوضاعهم فيه وتقوم وسائل الإعلام كغيرها من وسائل التنشئة بالمشاركة في هذا الدور.

وهناك نقطة هامة يجب ألا نغفلها وهى ارتباط الإعلام بعملية التحضر في المجتمعات، حيث تتسم المجتمعات المتحضرة بوجود وسائل إعلام حديثـة لها دور تنموى كبير، دليلا على ذلك نموذج "ليرنر" في الإعلام والتنمية، فلقد تبنى"ليرنر" ومجموعة من زملاله اتجاها يفترض وجود علاقة بين وسائل الاتصال الجماهيري في المجتمع ومعدل سرعة تنمية وتحديث هذا المجتمع، حيث يرون أنه لن تتحقق التنمية في أي مجتمع إلا بزيادة اتساع المدن وانتشار التعيلم، مما يؤدي بدوره الى زيادة استخدام وسائل الإعلام وزيادة مستويات الدخول لدى الأفراد، وبالتالي تزداد المشاركة السياسية للمواطنين وبهذا يتحقق التحديث والتحضر.

وبما أن أساس التغير والتحضر في المجتمعات يحدث لأفرادها منذ مرحله الطفولة فإن ما يقدم للطفل من ثقافات وخبرات وتوجيهات من خـلال وسائل الاعلام وغيرها يسهم في إعداد الطفل راغبا في العمل والنجاح والإنجاز بصورة تكون الأساس في تحضر المجتمعات .

وعموما نذكر أنه في الخمسة وسبعين عاما الماضية أصبحت الاختراعات التكنولوجية مثل الراديو والتليفزيون وسائل هامة في عملية التنشئة الاجتماعية .

وسائل الاتصال الحديثة "الانترنت" :

نتناول هنا الثورة المعلوماتية وما أفرزته لإحداث تغيرات في أنماط حياة الأفراد اليومية وعلاقاتهم الاجتماعية وطرائق تفاعلاتهم التقليدية المعروفة وخاصة على الصغار، ويتصدر الإنترنت مقدمة هذه الإنجازات بلا منازع، إذ عملُ أكثر من أي وسيلة أخرى على إحداث تغييرات جذرية طالت حياة الناس من الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية؛ لتجاوز دوره بكونه وسيلة اتصال إلى مصدر من مصادر الثقافة والمعرفة، وأضحت القوة المعلوماتية طاقة جديدة تتضمن النشاطات الإنسانية، وتعتمد على اختراق حواجز الزمان والمكان خلال سرعة نقل المعلومة، وتجاوز القيود الرقابية التي تسيطر عليها وسائل نقل المعلومات التقليدية.

فالإنترنت بات قادراً على تكثيف الزمن الماضي والحاضر، واستحضاره خلال شاشة الكمبيوتر، فكل ما كُتب أو نُشر خلال شبكة الإنترنت قديما وحاضرا يبقى تحت التصرف، وإن الإنجاز الكبير للإنترنت يتمثل في ثلاثة محاور رئيسة: وهي اختزال الزمن، واختزال الجغرافيا أو إلغاؤها، أما المحور الثالث فيتمثل في الإمكانات الهائلة في تحقيق التثاقف (أبو الحمام، 2015: 161).

وعلى الرغم من الاتفاق على فوائد النظام المعلوماتي ومدى دوره الفاعل في البنية الثقافية عامة، والتحول إلى مجتمع معلوماتي، إلا أن التحكم فيه وإمكان التقوقع وعدم تحديد

المصدر الإلكتروني أسهم في كون هذا النظام من مصادر تهديد الأمن الفكري الذي يعدّ نتاجاً لأزمة فكرية، أحدثها النظام المعلوماتي عن طريق وسائل التقنية الحديثة.

لقد كان لبروز شبكة الإنترنت تأثير واضح في عالم الاتصالات وتبادل المعلومات الكبيرة على مستوى العالم، حيث أفرز هذا الابتكار تطوراً متراكماً لهذه المعلومات والحقائق منذ تدوينها أو مراقبتها حتى وقتنا الحالي بكل ما تكتنفه من خدمات بالغة الأثر في مجال الاتصال والتواصل مع العالم بأسره الذي أصبح من مفرداته الجديدة مفهوم "القرية الكونية الصغيرة" وذلك بفضل هذا الشيء الجديد والمبتكر بشكل مستمر الذي أطلق عليها الإنترنت.

ظهر الإنترنت في البداية بكونه فكرة افتراضية، ومن نسج الخيال، خاصة مع الانتهاء بتطوير الآلة الحسابية على أيدي مجموعة من المهندسين تبلورت رؤية جديدة لنظام الحواسيب بكونه نظاماً يعتمد على الإدخال والإخراج والعمليات بطريقة صرفة، ففي عام 1945م نشر المستشار العلمي للرئيس الأمريكي روزفلت مقالا يطرح فيه رؤية آلية التفكير لدى الإنسان (رحومه، 2005: 136)، ولكن مع بدايات الستينيات الذي عُدّ التاريخ الحقيقي لولادة شبكة الإنترنت الذي مرّ بعدة مراحل؛ ليصبح من أهم وسائل الاتصال بين الشعوب فيما بين عامي 1958-1968 عدّت مرحلة الاختبارات والتجارب مقتصرة على مراكز البحث (سيرف,2004: 10)، أما من عام 1969-1984 فهذه المدة شهدت ولادة شبكة أربانت التي أنشأتها وزارة الدفاع الأمريكي بناء على نظرية لنقل البيانات الحاسوبية (الهاجري

,2004: 13-14)، أما في عام 1985 حتى اليوم تعدّ المرحلة التي تكونت فيها فعليا الإنترنت، وبدأت في توزيع خدمة الوصول إلى الشبكة على الجمهور، وتوسعت شبكة الإنترنت إلى أن وصلت إلى الدول العربية، فكانت تونس أول دولة عربية ترتبط بشبكة الإنترنت (سيرف,2004: 152)، أما أول شبكة حاسوبية عامة في منطقة الخليج العربي فيعود تاريخها إلى منتصف الثمانينيات، كان الهدف منه خدمة المجتمع الأكاديمي والبحثي في المنطقة.

وإن من أهم العوامل التي كان لها دور واضح في ظهور شبكة الإنترنت وأسهمت في انتشارها بشكل لافت للأنظار انتشارَ الحاسوب وزيادة استخداماته واقتحامه جميع مجالات الحياة إضافة إلى ظهور الشبكات العالمية والمحلية، وأدى إلى وجود انتشاره إلى وجود كل من البيئة الملائمة للاتصالات المتطورة وخاصة الأقمار الصناعية، حيث رُبطت هذه الشبكات مع بعضها من أجل تبادل المعلومات والبيانات بمختلف أشكالها، وأيضاً كان للتوسع في خدمات الهاتف دور في تطوير خدمة الإنترنت بصورة كبيرة إلا أن جودة خدمات الانترنت وكفاءتها في السنوات الأخيرة أصبحت تقل وتضعف مع تزايد الأعداد الهائلة للمستخدمين يرجع لجملة من الأسباب التقنية يأتي في مقدمتها أن التقنية المستخدمة في الإنترنت كانت أصلا منذ سنوات تطويرها الأولى مصممة لأعداد أقل مما هي عليه اليوم إضافة إلى تصاعد حاجات البحث العلمي والتعليمي والتجاري والأمني والإعلامي والثقافي .... لهذه الأسباب وغيرها صُمِّمت تقنيات جديدة تعرف بـ"إنترنت الجيل الثاني" التي بدأت بالعمل الفعلي مع عام 2004م في أمريكا، حيث وفرت استخداما معلوماتيا أكثر وثوقية وأمنا (رحومه,2005: 161).

نجد مما سبق أن شبكة الإنترنت أنشئت من أجل تقديم المساعدة للجيش الأمريكي إلا أنه تطور وانتشر استخدامه على نطاق واسع، ولم يترك زاوية من زوايا الحياة الاجتماعية إلا اقتحمها حتى أصبح في الوقت الحاضر عصباً رئيساً ومحركاً للحياة، فقد حوّل الكثير من مظاهر الحياة التي تعد قمة في التطور إلى مجرد أشياء بدائية، وأصبحت الحياة البشرية تعتمد عليه في كثير من الأعمال فهي تعمل ليل نهار دون توقف ، وأصبح له دور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء.

إن للإنترنت تأثير كبير في حياة الأطفال سلبا أو ايجابا حيث إن الأطفال يتعرضون لأخطار كبيرة ناجمة عن سوء استخدام شبكة الإنترنت، وذلك خلال العمل المباشر على الشبكة وغياب التوعية والرقابة من الأهل أو ذوي الرعاية، إن الطفل في بعض الأحيان قد يحتاج إلى مشاركة أفكاره وآرائه التي لا يجدها على أرض الواقع، مما يدفعه ذلك للبحث عنها عبر شبكة الإنترنت، وتبرز لديه الرغبة في إقامة عدد لا حصر له من الأصدقاء حتى وإن كانوا أصدقاء افتراضيين وهي لا تقتصر على عمر معين، وإنما لجميع الأعمار، وفي الغالب تقام علاقات مع أشخاص ليسوا من الفئة العمرية نفسها للطفل، وفي هذه الحالات يؤدي هذا الفعل إلى الابتزاز أو حتى الاعتداء الجنسي، وبذلك فإن شبكة الإنترنت أتاحت الفرصة للأطفال لينفتحوا على العالم دون قيود مما جعل بعض الأطفال قد يسيء استعماله بالدخول إلى مواقع غير مرغوبة: كالمواقع التي تنشر الجنس المثلي ومواقع أخرى تشوش تفكير الأطفال، ومنها ما يدعو للإلحاد وممارسة الحرية دون حواجز، كما تتضمن شبكة الإنترنت فلسفات مضللة ومصدرها غير معروف، ولا تتبع لهيئات معروفة (Galerie Jean,2012:3-4))، وكذلك

الاتصالات التي تسهل الاستغلال الجنسي عن طريق غرف الدردشة والشبكات الاجتماعية والمراسلات السرية، التنمر السيبيراني (Cyberbullying)، والصور والأفلام الإباحية غير الملائمة للطفل، وتؤثر رؤيتها في سلوكياته وتصرفاته مع الآخرين، فهي أمام عينيه بضغطة زر واحدة. (المركز التربوي للبحوث والإنماء ,2013: 5-14).

ومما سبق يتضح أن الإنترنت من الأمور التي يستعملها الكثير من الناس يسعون فيه للبحث والاستكشاف ومن ضمنهم الأطفال بكونهم جزءاً من المجتمع، فهم يتأثرون بما هو موجود فيه، حيث يجدون المتعة والتشويق الذي يوفره الإنترنت بكل حرية وسهولة إلا أن استخدام الإنترنت يغلب عليه الفردية مما يؤثر في طبيعة المشاركة الاجتماعية للفرد خصوصا، والطفل عموما فالإنترنت عنصر مهم لا بد من الاستفادة منه قدر الإمكان والعمل على توجيه الأطفال وتوعيتهم بكيفية الاستخدام الأمثل له والبعد عن سلبياته.

<u>الإنترنت بين الإيجابيات والسلبيات:</u>

من المعروف أن المجتمعات في تغير دائم، وهذا التغير يتم بصورة متدرجة ومنهجية، ويحقق التناغم الاجتماعي بفعل الابتكارات المعلوماتية؛ لتزداد سيطرة الإنسان على مقدرات حياته، إذ تتيح له نظم المعلومات توقع المستقبل وتجنب آثارها السلبية فخلال الاستفادة من خدمات الإنترنت والثورة التقنية التي يشهدها العالم تسهم بشكل فعال في تطوير العديد من جوانب الحياة: كالتحصيل الثقافي والمعلوماتي وتوظيف كل ما يقدم في خدمة الفرد والمجتمع؛

لذلك نجد دولا متعددة ازدهرت وهي تفتقر إلى مصادر الطبيعة؛ لأنها وضعت في أولوياتها التكنولوجيا التي أعطتها ميزة تنافسية في السوق العالمية، فمع التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات ظهرت العديد من التطورات الهامة التي تؤثر في عمليات التبادل التجاري، وهذا هو الأمر الذي يؤدي إلى حدوث تغيرات جذرية في أسس التبادل الدولي (الطائي,2006: 135).

فالتطورات التقنية في مجال صناعة الحواسيب والأقمار الصناعية وبناء الشبكة الدولية للمعلومات تعد بمنزلة تحدٍ جديد في وجه النظم الاجتماعية التي تكتنف بين طياتها أساليب وأنماطاً حديثة في التعليم، حيث لم تعد الأساليب والطرائق التقليدية في عملية التعليم والتعلم تحقق الأهداف المطلوبة منها، فتلك التغيرات العلمية والتكنولوجية التي شهدها العالم وما زال يشهدها حتى اليوم وبالمحتوى الواسع الذي تقدمه وفرت فرصاً تعليمية للعديد من الذين حرمتهم الظروف الاقتصادية من جهة وعدم وجود المؤسسات علمية وتعليمية من جهة أخرى، ومكنهم من الحصول على شهادات دراسية عالية (الحامد وآخرون ,2007: 358).

كما أن للإنترنت أثراً واضحاً على قطاعات الحياة أجمع، ومن هذه القطاعات القطاع الصحي الذي نرى أثره الواضح والملموس فيه: كحصول المرضى على الخدمات الطبية، واستخدام الجراحين عند إجراء العمليات الجراحية، وعرضها على الشبكة للأطباء في مختلف أنحاء العالم (الطائي,2006: 128) وغيرها الكثير والكثير من قطاعات الحياة.

وعلى جانب آخر نستطيع أن نتلمس العديد من السلبيات التي أوجدها الإنترنت بالرغم من سعي المجتمعات الإنسانية من وراء استخدامها له لخلق مجتمع خالٍ قدر الإمكان من الجرائم والسرقات التي ربما لم تأتِ بسببه فقط، ولكن بمساعدة عوامل أخرى، فقائمة السلبيات أخذت بالازدياد والاستمرار؛ لكثرة المعلومات على الإنترنت فإن البحث فقط في (جوجل) يوفر للمستخدم أكثر من 400 بليون صفحة على الشبكة؛ لذا فهي مطلب أساسي بما تقدمه من خدمات للدول إلا أن بعض الدول انتابها الخوف مما تحدثه الشبكة من انفتاح معلوماتي قد يزعزع الكثير من ثوابتها (الهاجري,2004,ص8)، إذ إن التزايد المعرفي والمعلوماتي لم تصاحبه مساواة اجتماعية ومعرفية، فقد خلق فجوة معرفية بين الدول وبين الفئات الاجتماعية (الطائي، 2006، ص172)، إن شبكة الإنترنت التي يسيطر عليها على الأغلب العلاقات البشرية وأساليب تعامل الناس بعضهم مع بعض، خلالها تستوحي سيئها وجيدها من طريقة تنفيذ هذه العلاقات البشرية وتطبيقها عليها، ولكن لا يوجد نظام إلا وبه بعض السلبيات التي يدعمها الاستغلال السيئ من بعض مستخدمي ذلك النظام، وهذا الأمر يمنح شبكة الإنترنت السمعة السيئة التي تخشى الكثير من مؤسسات التنشئة الاجتماعية تعرض الأطفال لها (العويضي,2004: 15)، يمكن القول إن الإنترنت يتدخل بشؤون الأفراد والمجتمع تدخلا مريبا، إذ جردته من خصوصيته الخاصة، فقواعد المعلومات المرتبطة بعضها ببعض الآخر تحتوي على أسماء الأفراد وعناوينهم ووظائفهم وحالتهم الاجتماعية والصحية، وقد يعرضهم لمخاطر غير متوقعة، ومن المتوقع تزايد قدرة الآخرين على رصد تحركات الكثير من البشر (الطائي ,2006: 173)، إضافة إلى أن المواد الإباحية لم تقف عند حدود دولة معينة، ولكنها متوفرة بسهولة وبكميات هائلة مما يولد مخاوف يوما بعد يوم، واللافت للنظر أن الإنترنت بات يمثل فرصة كبيرة أمام العديد من الجرائم التي تختلف باختلاف نيات المجرم ذاته

وسلوكه: كالتزوير والتزييف وإتلاف بعض البرامج وتدميرها، والسطو على البطاقات الائتمانية، كما أن الانفلات من سيطرة الرقيب وغياب الضوابط يؤثران بشكل سلبي في المستخدمين وفي العقول الناشئة فهذه الفئة تعوزها الخبرة، فيصبحون فريسة سهلة المنال للمتربصين والمتحرشين والقراصنة وغيرهم الذين يكون هدفهم الأساسي بناء أفكار ضالة في عقولهم، والتسبب في ضياعهم الأخلاقي وتغريبهم عن عاداتهم وتقاليدهم وانتمائهم الوطني، هذا فضلا عن تعرضهم لعمليات احتيال ونصب ودعوتهم لأفكار غريبة، وكذلك تشجيعهم على الانتحار والإقدام عليه بلا خوف وتقمص شخصيات، وبناء صداقات وهمية، وكذلك تحريف اللغة العربية واستعمالها بغير حروفها الأصلية (المركز التربوي للبحوث والإنماء,2013: 3).

ولكون الإنترنت يقدم كل وسائل المعرفة ومن بينها معلومات تمنعها السلطة مما جعل الحكومات تشارك الأفراد تلك المخاوف لما طالها من سلبيات للإنترنت، خاصة ما أفرزه من سرعة نشر الأخبار فقد أدى التطور الكبير في وسائل الاتصال إلى جعل الناس يعرفون الأخبار والأزمات الخطيرة والموضوعات ذات الحساسية مما يؤدي إلى ممارسة الضغوط على الحكومة بعكس السابق التي كانت تتخذ قراراتها دون ضغوط من الراي العام (الطائي,2006: 177)، وخاصة مع انتشار الإنترنت بصورة عشوائية في الدول النامية والدول العربية بشكل خاص مما أدى إلى سهولة نشر المفاهيم والآراء والأفكار والسلوكيات والقيم ذات التوجهات السلبية لا سيما التي لها علاقة بالعنف والإرهاب والعدوان، مما جعل هذه المجتمعات تعاني هذا الاستخدام السيئ الذي يقوم به كثير من الشباب والمراهقين (الألفي، 2011: 9-11)، والتأثر بأفكار الطغاة التي تجعل معتنقيها ينظرون لغيرهم من أبناء المجتمع وممن لا يسير

على منهجهم على أنهم كفار، والتأثر بما ينشر عبر مواقع المتطرفين الإلكترونية حيث تبين أن أصحاب الفكر المنحرف وجدوا في تقنيات الاتصال بيئة ملائمة خصبة، وخصوصاً شبكة الإنترنت وسائل فعالة لنشر سموم أفكارهم (Behr Ines et al,2013:3-4).

فلم يعد التطور التقني محصوراً لفائدة الإنسانية وخدمتها فقط، إنما خرج هذا التطور وانقلب في كثير من الأحيان للفتك بالإنسانية خلال ما ينشره من معلومات وتقنيات خاصة بصنع القنابل وتشكيل العصابات ولا سيما أنها غير مكلفه وبسيرة، ولا تأخذ حيزا كبيرا، ولها مرونة بالاستعمال، لذا لا بد من تشديد الجهود للوقاية من الانحرافات الفكرية والمختلف خلال توعية الشباب، وبعيدا عن عيون الرقابة هيأت شبكة الإنترنت المجال الرحب لكثير من الجماعات والفرق التي تتحدث بلسان الإسلام لنشر أفكارها العنيفة والترويج لما تعتنقه من مبادئ سياسية وعقائدية مما يترتب عليه تشويه لصورة الإسلام وإعطاء الفرصة لمحاربته مما سبب اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب.

من خلال ما سبق يتضح سعي الإنسان لتطوير حياته واتصاله مع العالم مما جعل الإنترنت جزءاً حياته، ويؤثر عليه في جميع النواحي الاجتماعية والثقافية والعلمية... لذلك تهتم جميع الدول به وبتطويره لذلك من المهم استغلاله بالشكل الأمثل بعيدا عن كل السلبيات ، وتوجيه الاطفال خصيصا للاستخدام الايجابي من خلال الطرق الوالدية الصحيحة في التوجيه.

دور العبادة

يعتبر الدين ومرساله من أهم مصادر القيم الأخلاقية المباديء الاخلاقية في العقيدة الدينية هي التي تهدي، إلى السلوك السوي، وهذه القيم والمبادي الأسلامية وغيرها يتم تعلمها في دور العبادة حيث إنها تقوم بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية لما تتميز به من خصائص فريدة، أهمها احاطتها بهالة من التقديس وثبات وإيجابية المعايير السلوكية التي تعلمها للأفراد والإجماع على تدعيمها ، وهي دائما ما تمد الفرد بإطار سلوكى معيارى مرتضى مبارك، كما تقوم بتنمية الضمير عند الفرد والجماعة، ذلك الإطار السلوكي والقيم التي يتم تعلمها من خلال المؤسسة الدينية، غالبا ما تكون مناسبة مع المثل التي يتعلمها الأطفال من خلال مؤسسات التنشئة الأخرى.

وسوف يتم توضيح وظيفة دور العبادة متمثلة في دور المسجد كجهاز من أجهزة التنشئة الاجتماعية في المجتمع، حيث يعتبر مركز إشعاع في البيئة الاجتماعية والثقافية التي يوجد فيها، يهتم بالناس الذين يعيشون فيها الأطفال منهم والشباب، والرجال والنساء على السواء، أي أنه يتعاون التعاون الأكيد مع أسر الحي وعائلاته، وأيضا يعتبر معهدا للتعليم والاطلاع الثقافي، ومكان يجتمع فيه القادة من أعضاء الحي الذي يوجد فيه، يتدارسون تحت إشراف إمام المسجد مشاكل الحى الاجتماعية والثقافية، أي أنه فضلا عن كونه مكانا للعبادة فهو مركز اجتماعي يشترك مع غيره من أجهزة التنشئة الاجتماعية في عمليات التنمية الاجتماعية للمادة البشرية في البيئة وفى عمليات وقايتها وعلاجها على السواء. ويشكل إمام المسجد هنا (المؤثر) في عملية التنشئة الاجتماعية ورواد المسجد هم (المتأثر) وغالبا ما يغير المؤثر في المتأثر بفعل تمكنه الديني إذ يعتبر رجل الدين متمثلا في إمام المسجد واحدا من القادة الاجتماعيين الثقافيين في المجتمع العربي المعاصر الذين يقومون بالإسهام في عمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء هذا المجتمع، إنه يفعل ذلك بالتعاون مع غيره من القادة مثل المدرس والأخصائي الاجتماعي والمسئول السياسي

والمسئولين عن أجهزة الإعلام والثقافة وغيرهم فضلا عن آباء المجتمع وأمهاته ويعتبر هؤلاء القادة ومن في حكمهم رموز النظام الاجتماعي ولسان حاله.

وغالبا ما تؤثر دور العبادة في الوضع الديني للأسرة ودرجة إيمانها هذا الوضع الديني للأسرة يؤثر بدوره في تنشئة الأطفال وتربيتهم، فالعلاقة بين الأسرة والقوة الإلهية تنعكس في درجة الإيمان العقائدي والقيام بالعبادات والتمسك بالشعائر والتحلي بالخلق الحسن في القول والعمل والأخذ بالقيم الإنسانية العادلة والتي تدعو لحب الخير والبعد عن الشر، إن كل ذلك يدركه الطفل ويحسه من خلال تفاعله مع جماعته المتدينة في دور العبادة

إذن فإن دور – دور العبادة في التنشئة الاجتماعية من الأهمية بمكان، إذ يمكن ان تصل أأهميتها إلى أهمية دور الأسرة، فالأسرة قوية التأثير على الطفل لأنها أول مجمتع يحتضن الطفل ويتلقى منه تعليماته، ودور العبادة قوية التأثير أيضا لأنها أصدق مصدر لتلقين النشئ القيم المختلفة لأنها مستمدة من الكتب السماوية التي لا جدال فيها، حيث تمد الفرد بإطار سلوكى معيارى، ومن شأن دور العبادة ترجمة التعاليم السماوية إلى سلوك عملى، ثم توجيه هذه السلوكيات الاجتماعية بما تضمن سلامة الفرد والمجتمع.

سابعا : المداخل النظرية للتنشئة الاجتماعية

شغلت مسألة نمو الطفل وتنشئته وتشكل الذات علماء النفس والاجتماع وقدموا في هذا الصدد نظريات مختلفة من منظورات مختلفة ركز مثلاً " فرويد" على تعامل الطفل مع أشكال القلق وكيفية ســـيطرته عليها، وركز الفيلسوف وعالم الاجتماع الأمريكي "جورج هربرت ميد" George Herbert على كيفية تعلم الطفل، كما تعامل "جين بياجيه" Jean Piaget مع عدة جوانب في نمو الطفل لكنه ركز على الإدراك، أي كيف يتعلم الأطفال التفكير في أنفسهم وإدراك بيئاتهم .

وسوف نتناول النظريات الآتية: -

1- نظرية التحليل النفسي: Psychoanalysis

ورائدها الأول العالم فرويد وهو يعتقد أن الطفل كائن لحوح يتمنى أن تلبى كل طلباته، لكنه يتعلم فيما بعد كيف يظهر تلك الرغبات أو يخزنها بسبب استحالة تلبيتها جميعا، ويتحدث "فرويد" عن مراحل مختلفة في نمو الشخصية لكنه يركز على ما يسميه بالمرحلة الأوديبية Oedipal في سن الرابعة والخامسة وفيها يتعلم الطفل الخروج من دائرة الأم والأب إلى المجتمع، لكن بعض الأطفال يظل ارتباطهم بوالديهم حتى بعد كبر سنهم، ومن هنا تنشأ العقد النفسية مثل عقدة أوديب Oedipus Complex فمن وجهة نظر فرويد يمثل تعامل الطفل مع والديه ونوعية علاقتهم به في مراحل عمره المختلفة عاملاً هاماً في تشكيل شخصيته فيما بعد .

وعملية التنشئة الاجتماعية بناء على هذا الإطار التصوري تتكون من عدد من مراحل النمو المحددة، ذلك لأن ما قد يحدث في هذه المراحل من الولادة حتى سن الخامسة أو السادسة يمكن أن يصبح دائما وثابتا نسبيا على الرغم من أنه قد يكون لا شعوريا، هذا وتحل المرحلة الأولى من النمو خلال السنة الأولى من حياة الطفل حيث يكون الفم ممثلا للجذب الشبقى المبكر مما يترتب عليه أن يكون الطفل أشكالاً من الارتباط الانفعالي القوى مع أمه التي تكون بالنسبة إليه مصدر الغذاء والدفء، وتأتي بعد ذلك المرحلة الشرجية ويكون

موقف الأم في هذه المرحلة مسئولا عما يمكن أن يتحول إليه في المستقبل فيما يتصل بعادات النظافة والتنظيم وتحمل المسئولية وقدرته على الخلق والإبداع وتأتي بعدها المرحلة القضيبية وهي تلك المرحلة التي ينشغل فيها الطفل بأعضائه التناسلية ولكن قبل حلول هذه المرحلة يكون موضوع الحب الأساسي عند الولد والبنت يتركز حول الأم ثم بعد حلولها يتكثف حب الابن لأمه والبنت لأبيها، وفى هذه المرحلة يتكون ما يسمى بسيادة الذكر وسلبية الأنثى واستسلامها.

إذن فقد كان لإسهام هذه النظرية أثر كبير في دراسة تأثير التنشئة الاجتماعية على الشخصية كما أشار سيرز Seals سنة ١٩٥٩م إلى دور فرويد، وأفكاره في التحليل النفسي والعملية الاجتماعية، ولكنه لم يهتم بدراسة نمو الطفل فقط بل بتأثير البيئة والطفولة وجمالها على تشكيل الشخصية، وقد لحول التحليل النفسي من الاهتمام الفرويدي التقليدي بالوراثة إلى الاهتمام بتأثير الضغوط الاجتماعية والبيئة المحيطة، كما نجد في أعمال كاردنر kardiner – 1945م و سيلفان Sullivan سنه ١٩٥٣م وإريكسون Erikson ٠م.

إذن اهتمت هذه النظرية بكيفية المواءمة بين تنشئة الأسرة للطفل ومراحل نموه المختلفة لتأثير ذلك على الشخصية فيما بعد.

فنجد "بياجيه" مثلا قد أعطى أهمية كبرى لقدرة الطفل على إدراك عالمه وفهم بينته المحيطة به فهو ليس كائنا سلبيا لكنه بفهم ويختار ويفكر، كماميز بياجيه بين مراحل مختلفة للنمو المعرفي للأطفال وقدرتهم على فهم بيئاتهم ففي كل مرحلة يكتسب الطفل مهارات جديدة عن طريق تنشئته الاجتماعية.

وهناك قضية نتناولها الآن تتعلق بطول الفترة التي يعتقد أن التنشئة الاجتماعية تظل مؤثراً تكوينياً هاماً فيها، حيث ركز بعض الباحثين اهتمامهم على الأحداث خلال مرحلة قصيرة

محدودة تحدث غالباً في وقت مبكر من حياة الإنسان على حين وصف آخرون هذه العملية بأنها أطول وأبطا. ونجد اريكسون" سنة 1963م يتحدث عن التنشئة ليست لفترة طويلة محدودة فقط ولكنها تستمر طوال الحياة، وذلك يتناقض مع الذين يركزون على فترات الطفولة والمراهقة فقط، حيث يهتم "إريكسون" بالدعوة إلى فحص أزمات التنشئة في كل مراحل الحياة للفرد.

أما الذين ركزوا على فترات قصيرة قرروا أن الأطفال يكونون معرضـــين خلال تلك الفترات للمؤثرات البيئية واعتقدوا أن مرونة السلوك، أي قابليته للتغير تقل بشكل ملحوظ بعد تلك الفترات، ونتيجة لذلك ركزت نظريات هؤلاء على الخبرات المبكرة بل اقتصرت عليها، وهم يرون أن التجارب اللاحقة أهميتها الوحيدة هي كونها نتائج للخبرات المبكرة التكوينية، واقترحوا أن التدخل المبكر هو وحده القادر على ترك انطباع معقول وإحداث تغيير يذكر، وتشترك نظرية التحليل البيئي مع نظرية التحليل النفسي في التركيز على دور التجارب المبكرة في تشكيل النمو الاجتماعي العاطفي لدى الفرد وخصوصا دور الوالدين كمسئولين عن التنشئة الاجتماعية للأبناء.

2- نظريات التعلم: Learning Theories

حيث تعتبر من أهم وأوضح النظريات في ذلك الموضوع وقد كان لنظريات التعلم أثر كبير في الإشارة إلى أن السلوك يتغير، وأن السلوكيات التى تتعلم أولا تؤثر بالضرورة في السلوكيات التي تتعلم بعدها، كما أن خبرات الطفل في طفولته تتكرر في كبره في صور مختلفة قليلا، هذه الأفكار تجدها متمثلة لدى ميلر Miller و دولارد Dollard سنة 1950م.

هذا يؤكد لنا تأثير السلوكيات والخبرات التي يتعلمها الطفل من الأم و الأسرة في طفولته المبكرة خلال سنوات عمره الأولى وخاصة الثلاث سنوات الأولى من عمره وكيف أنها تتسم بالثبات وتؤثر في خبراته التي يتعلمها بعد ذلك في المدرسة ومع جماعة الأقران وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، ومن أهم نظريات التعلم، نظرية التعلم السلوكية ونظرية التعلم الاجتماعي وســـوف يم توضيحهما كاللاتي :

(أ) نظرية التعلم السلوكية Behaviour Learning –

ومن خلال نظرية التعلم السلوكية نعرف أن الطفل يربط بين الأصوات التي تصدر من والديه – أو بين ما يقدم له يوميا كغذاء أو تدليل، وبين استجاباته لهما عند صدور إشارة أو صوت يدل على قرب حدوث مثل هذا السلوك منهما، وعلى ذلك تكون التنشئة الاجتماعية من خلال هذا المفهوم نتيجة لتشريط المؤثر والاستجابة، وجدير بالذكر أن أكثر هذه العمليات يمكن ملاحظتها في حالة الطفولة المبكرة عندما يستخدم الوالدان العقاب والثواب كأدوات أو وسائل لتعليم الطفل الصور المفضلة للسلوك.

ولكن هذا المدخل الآلى لعملية التنشئة الاجتماعية يتعرض للرفض من علماء الاجتماع الذين يرون أن الذات والأدوار والجماعات المرجعية تحتل جميعاً أهمية محورية في فهم السلوك الإنساني، وعلى الرغم من أن نظرية التعلـــم ألقت الضوء على الأبحاث التي تمت في مجالات الحيوانات والأطفال إلا أنها لم تكن موفقة في تفسير المواقف والمعايير الاجتماعية.

ومن ناحية أخرى تجد "واطسون " يقول إنه عند دراسة الطريقة التي يعامل به الآباء الأطفال نعرف أن التنشئة الاجتماعية عبارة عن سلسلة من تعلم الخبرات ، وإذا كان هناك تشابه في سلوكيات بعض الأطفال المختلفين إنما يعزى هذا إلى النشابه في الطريقة التي تمت تربيتهم ها، فإن مشكلة التنشئة أساساً هي كيف يتم تعليم الأطفال الصغار حتى يصبحوا ذلك النوع الصالح من الشباب.

(ب) نظرية التعلم الاجتماعي Social Learning

إن أهم نظريات التعلم اليوم هي نظرية التعلم الاجتماعي لـ "باندورا Pandora و"ولترز" Walters وقد ناقشا موضوع أن كثيراً من أنماط السلوك التي يتعلمها الأطفال لم يتم تعلمها بطريقة تدريجية وعن طريق الثواب والعقاب بناء على السلوك، إنما اقترحا أن الأطفال يتعلمون عن طريق التقليد Imitation والتقليد هنا يبدأ بتقليد الوالدين وهما أقرب الناس إليه وخصوصاً الأم ثم الأخوات فالمدرسين في المدرسة أو الأصدقاء.

وقد اقـــرح "باندورا" مرحلتين للتقليد: الأولى وهى "الإدراك أي يتعلم الطفل ما يراه من سلوك الآخرين، والثانية "أداء النمط السلوكى * Practicing behavioural pattern الذي تم تعلمه، والأطفال دائماً ما يتذكرون ويؤدون سلوك النماذج القوية المؤثرة فيهم المحببة إليهم أكثر ممن لا يحبونهم أو لا يحترمونهم.

وهناك نقطة هامة بدأ المشتغلون بنظرية التعلم الاجتماعي الاهتمام بها مؤخراً ألا وهى مناقشة أثر العوامل التي يواجهها الطفل بعد خروجه من المكان المحمي The shelter space في ظل الأسرة، وقد كان الخطأ الأساسي لدى المحللين النفسيين وأصحاب نظرية النمو Developmentalists التركيز الشديد على الأسرة أو البيئة الضيقة والإهمال الشديد للبيئة الواسعة الكبيرة وهي المجتمع بمؤسساته ، هكذا قرر برونفنبرنر Bronfenbrenner وقد تبع نقده هذا كثيراً من المحاولات اللاحقة لتناول تنشئة الطفل على نطاق أوسع من نطاق الأسرة مثلما اهتم كل مـن "كوشران Cochran سنة ١٩٧٧م و "جاربارينو Garbarino منة ١٩٧٧م ، ومن ناحية أخرى نجد "بريم" Brim قد ركز على تعلم الأدوار الاجتماعية وتعلم القيم، حيث يتعلم الطفل أن يغير احتياجاته البيولوجية الأساسية إلى احتياجات ثقافية من خلال توقعات الآخرين ذوى الأهمية بالنسبة له.(لازرسفيلد،281،1989)

(3) نظرية التفاعل الرمزي Symbolie Interaction –

أما عن هذه النظرية وإسهاماتها في تفسير عملية التنشئة الاجتماعية فقد أوضحت أن العالم الخارجي بما فيه من أشخاص وأفكار ومعانى لابد من أخذه في الاعتبار عند تفسير نمو الطفل وموجهات التنشئة الاجتماعية، حيث أن أهمية السنين الأولى وما يرتبط بها أمر هام في حياة الطفل، ولكن طبيعة العلاقات الاجتماعية مع الأم والآخرين تعتبر أكثر أهمية لأنها تؤثر على الصورة التي يأخذها الطفل عن نفسه، والدليل على ذلك أنه على الرغم من أن الأم تنهض بكل احتياجات الطفل وتسهر على رعايته، فإن خبرات التنشئة الاجتماعية لأغلب الأطفال تتضمن تفاعلاً مع الأعضاء الآخرين في الأسرة النواة وكذلك الأسرة الممتدة، فالطفل عند الولادة لا يكون اجتماعياً ولكنه عن طريق التفاعل مع الآخرين تنمو لديه اللغة وتستدمج المعاني، ومن ثم تبدأ الذات الاجتماعية في الظهور .

وقد ركزت التفاعلية الرمزية على كيفية تنشئة كل من الذكور والإناث على أدوار خاصة بكل منهما، وفى ذلك أشار "تيرنر" Turner أحد علماء النفس إلى أن المجتمع تسوده أنماط من التفاعل تؤكد على اختلاف الأدوار تبعا للنوع ، وكل من الوالدين وجماعات الرفاق والمدرسة تدعم هذا الاسلوب من التفاعل ، ويشير "تيرنر" إلى أن الطفل عندما يكبر يكون وثيق الصلة بوالده وقد يشاركه العمل خارج المنزل، أما الطفلة تنشأ قريبة من أمها وتعلمها الأم الأعمال التقليدية بالمنزل (الخشاب، 144،1993).

أما عن أفكار "ميد" Mead وهو أحد المشتغلين بالتفاعلية الرمزية فيعتقد أن الطفل يصبح " كائناً اجتماعياً عن طريق التقليد، وللعب دور هام في هذا، فالأطفال عندما يلعبون يقلدون الكبار ويبدأون في تشكيل صورة الأنا من خلال الآخرين وصورهم لديهم، كما أن الوعي يتحقق عندما يتعلم الأطفال التمييز بين أنا الفاعلة وأنا المستقبلة، كما تحدث "ميد" عن مرحلة ثانية هذه المرحلة في سن التاسعة، وهي مرحلة اللعب المنظم وفيها يصبح الطفل واعياً بالقيم والمعايير التي تحكم الجماعة التي يعيش فيها، وفيها يدرك ما يسميه"ميد" الآخر

العام Generalized other أي القيم والمعايير التي تحكم السلوك في المجتمع الذي ينشأ فيه، وتقوم مؤسساته المختلفة بعملية التنشئة الاجتماعية له من خلال هذه القيم والقواعد ، تلك القواعد التي يدركها الأطفال من خلال اللعب حيث ممارسة الألعاب ذات القواعد المحددة وتنتهى معظمها بالشجار ولا تستأنف إلا عندما يؤمن الأطفال أن القواعد ضرورية حتى تستمر اللعبة للنهاية، وهذه القواعد هي التي وضعها الآخرون، ومن هنا ينشأ التفاعل وتقمص شخصية الآخر.

وإذا ما أمعنا النظر في هذه النظرية لـ "ميد" نجدها تتشابه مع نظرية التعلم الاجتماعي لدى "باندورا" حيث اتخذ كل منهما من التقليد محك اهتمام نظريته وإن كان تركيز "ميد" على عملية التقليد عند الأطفال من خلال اللعب بالذات سواء في السنوات الأولى من العمر أو في سن التاسعة، على حين لم يتقيد "باندورا بوقت معين للتقليد أو موقف بذاته.

وقبل أن ننتقل إلى نظرية أخرى من النظريات المهتمة بعملية التنشئة الاجتماعية لابد أن نتعرف على فكرة "كولى" Cooley في التنشئة، وهو يعتبر ثاني أعظم مؤسسي علم النفس الاجتماعي، وقد كون فكرته عن التنشئة من خلال دراسته لأبنائه هو نفسه، وأطلق على فكرته عملية النظارة (الزجاج الذي ننظر من خلاله) The looking – glass process، فالطفل في البداية تكون ردود أفعاله لتعبيرات وجه والديه أكثر منها لما يقولان، فعندما تقول الأم "لا" يحاول الطفل أن يقرأ ما في وجه أمه ليعرف ما إذا كانت تعنى حقا لا ، أيضا الأطفال ينظرون إلى وجود أمهاهم من وجهة نظر "كولى" ليعرفوا ما إذا كانت أمهاهم يحبونهم ويقبلن سلوكهم أم لا ؟ وليعرفوا كذلك وجهة نظر أمهاتهم فيهم.

إن جوهر عملية النظارة التي يصفها "كولى" هو أننا دائما ما ننظر إلى وجه الآخرين في محاولة لقراءة توجهاتهم نحونا وردود أفعالهم لما نفعل وما نقول، وتنطبق هذه النظرية في

الطفولة المبكرة على الأب والأم حيث يستمد الطفل صورته من ردود أفعالهما، وفيما بعد يتحول إلى زملاء اللعب وغيرهم ممن يحتك بهم.

توضح لنا هذه النظرية التأثير القوى للوالدين على الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة، حقا إننا نرى مدى تأثر الطفل إذا لمح نظرات عدم الرضا عنه في وجه أمه أو إذا لمح تعبيرات الغضب على وجه أبيه، فإنه يشعر بالخوف قبل أن يعاقبه والداه بأي نوع من العقاب، وهذا ما يؤثر على شخصية الطفل.

(4) نظرية التبادل الاجتماعي: Social Exchange

يعد استيفن ريتشارد" S. Richard من أشهر الاجتماعيين الذين استخدموا نظرية التبادل الاجتماعي في دراسة التنشئة، وتقوم على المقدمة الأساسية وهي: إن القوة ترتبط بالموارد Power is associated with resources ، فقد أوضح "ريتشارد" القوة التي يمتلكها الوالدان ويمارسانها على الأبناء في السنوات الأولى من الطفل حيث يكون معتمداً على والديه اعتماداً كلياً من الناحية المادية والمعنوية لأنه في هذه السن لا يملك إمكانيات تجعله يقف موقف قوة معادلة لما يملكه والداه، وينمو الطفل وإحساسه بأنه يمتلك بعض الإماكانات تتطور العلاقة بينه وبين والديه إلى عملية مساومة Bargaining process وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة التبادلية، أي في مقابل طاعته لوالديه يحصل على أشياء يرغب فيها، كما نجد فكرة المكافأة Reward والخسارة Cost والحزاء Sanction تتضمنها النظرية التبادلية ، ففكرة المكافأة تبدو في شعور السعادة عند الوالدين عندما يرون أبنائهم يحذون حذوهم ويلتزمون بقيمهم، أما فكرة الخسارة فتتمثل عندما يرفض الأبناء أسلوب حياة الوالدين وينتقدون القيم والمعايير السائدة والتي يتمسكان بها محاولين تغييرها، أما فكرة الجزاء فهي تعنى أن الجزاء يكون إيجابياً عندما يكون السلوك مقبولاً ويكون سلبياً عندما يكون السلوك غير مقبول، وتتضح فكرة الجزاء في أساليب التنشئة تبعاً للنوع ، ومن المعتقدات أن فكرة الخسارة التي يتحدث عنها" ريتشارد" تتمثل في المجتمع المتحضر أو الأسرة المتحضرة لعدم رضا الأبناء عن اتجاهات وقيم الآباء والتي دائما ما يعتبرونها

قديمة وتقليدية ولا تتمشى مع مفاهيمهم المتحضرة عن الحياة، إلا داخل الأسر التي تتنبه إلى هذه الخسارة التي يمكن أن يتعرض لها الوالدان وتتخذ من الديموقراطية سبيلا لها في مختلف التعاملات الأسرية حيث تقرب هذه الديموقراطية بين اتجاهات الوالدين والأبناء وتخفف من خسارة الوالدين داخل الأسرة الحضرية، أما عن فكرة الجزاء واتضاحها في أساليب التنشئة تبعا للنوع كما تقول النظرية فإنها تتضح مثلا في اختلاف توقعات المجتمع من أفراده حسب أنواعهم، فيتوقع المجتمع والمحيطون بالطفلة أن تأتي سلوكا معينا يتفق مع كونها أنثى ولها دور محدد، هنا يكون الجزاء الإيجابي، أما إذا أتت بما يخالف هذه التوقعات فتتعرض للجزاء السلبى، ونفس الشئ بالنسبة للذكر.

(5) نظرية الأنثروبولوجيا الاجتماعية :Social Anthrobology

حيث تعتبر صاحبة أكبر إسهام في دراسة التنشئة الاجتماعية، ولقد ظهر اتجاهان أساسيان في هذا الصدد، الأول هو دراسة التنشئة بوصفها وسيلة لنقل الثقافة وبوصفها مكونا من مكونات تلك الثقافة في كل مجتمع كما في دراسات "كوما Kwoma (١٩٤٨) و"مارجريت ميد" (١٩٣٩-١٩٤٩م) و"وينج" و"تشايلد" 1953) Whiting & Childم)، والاتجاه الثاني دراسة أثر التنشئة الاجتماعية على الشخصية، واهتم بهذا سابير" Sapir (١٩٤٩) و"بيندكت Bendict (١٩٣٤م)، كما قـر "سبيرو Spero (١٩٦١م) و"فاربر" Farber (١٩٥٣م) أن هذه النظرية تركز على المحتوى الحضاري الثقافي للتنشئة والذي يقوم على افتراض تباين السلوك من مجتمع وحضارة إلى أخرى، إذن فمشكلة العلاقة بين الثقافة والحضارة والمجتمع كما رأى "كلوكهون Klukohon غاية في الأهمية فيما يتعلق بدراسة التنشئة الاجتماعية.

(6) نظرية الصراع: Confleet Theary

ويتضح من اسم النظرية أنها تتخذ من الصراع إطارا لفهم موضوع الأدوار في الأسرة، ومن وجهة نظر هذه النظرية أن هذا الصراع بين الرجل والمرأة، أو بمعنى آخر بسبب سيطرة الرجل على المرأة، فترى النظرية أن في كل المجتمعات ينظر إلى الرجال على أنهم يمسكون مقاليد الأمور الخاصة بـالنوع Sexroles وطبقا لذلك تكون عملية التنشئة والقوة كأن المجتمع للرجال فقط، لأن الرجـال هم المسيطرون على النسق الوظيفي والمنتفعين بفوائده، والسماح للمرأة بدخول هذا النسق يعنى مشاركتها للرجال في هذه الفوائد، إذن فمن مصلحة الرجل أن يعمل على الحد من مشاركة المرأة له في فرص العمل حتى يفوز بفوائده وتعود عليه وحده، ومن أهم الطرق التي تحقق للرجل هذا الهدف هي التنشئة الاجتماعية، فيتم تنشئة الإناث على أدوار خاصة بهن داخل المنزل كي يتم إبعادهن عن النسق الوظيفي.

ومن الملاحظ أن هذه النظرية أغفلت أن القائم علـى عملية التنشئة الاجتماعية ليس الرجل وحده إنما الوالدان أي الرجل والمرأة، والأجدر بنـا أن نقول المرأة والرجل لأن الأم هي التي تقوم بالدور الأكبر، ولا نكون مبالغين عندما نقول إنها تقوم بدور التنشئة الاجتماعية للأبناء بأكمله ، إذن فليس من الصعب عليها وهي التي تأثرت بالتحضر وتؤمن بحقوق المرأة وحتمية الفوز بها في المجتمع أن تنمى ذلك في ابنتها وتنشئها عليه.

ومن الاتجاهات الحديثة التي تعرضت للكثير من الجدل والمناقشة كلما أثير موضوع التنشئة الاجتماعية للطفل وما يتعلق بهذه التنشئة من نضج ونمو، اتجاه رفع شعاره جزل: A. Gesell وهو "أترك الطفل لطبيعته Let the child to his nature فسينمو إلى مستوى محدد بالوراثة حتى وإن لم يلق من البيئـة مثيـرات متعددة (1977,47, Scheffer)

ولكن يمكننا القول أن تأثير الوراثة heredity في الأفعـال والسلوك يكون طفيفا إذا ما قورن بتأثير البيئة والمجتمع المحيط بالطفل وخاصة تأثير الوالدين على الأطفال خلال السن الصغيرة.

ونجد ذلك متمثلا في قول R. Shaffer أن الشواهد والأبحاث أثبتت أن شعار "أترك الطفل لطبيعته" غير صحيح خصوصا بعد دراسة الأطفال في مرحلـة النمو المبكرة، وما أثبتته تلك الأبحاث بأنه ليس من الضروري أن يسير النمو طبيعي بدون مثيرات الوسط المحيط إذ كلما أعطى الطفل مزيدا من الاستثارة كلما كـان أفضل.

الفصل الخامس: القرابة والأسرة

أولاً : مفهوم القرابة

ثانياً : مضامين القرابة

ثالثا : النسب وروابطه

رابعاً : التحولات القرابية

خامساً : القرابة كمؤسسة وكجماعة اجتماعية

أولاَ : مفهوم القرابة :

مجموعة صلات رحمية وروابط نسبية تربط الأفراد بوشائج عضوية واجتماعية متماسكة تلزمهم بتنفيذ التزامات ومسؤوليات وواجبات تفيد أبناء الرحم الواحد أو النسب الواحد.

ثمة حقيقة لابد من ذكرها هنا وهي لما كان مجتمعنا العربي وما يزال محتفظا بالقرابة وتلعب فيه دورا حيويا في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولما كانت . وما تزال . مكانتنا الاجتماعية ونفوذنا الاجتماعي مستوحيا منها ، فإن ذلك يلزم الباحثين الاجتماعيين العرب بأن يسلطوا ضيائهم عليها ويبحثوا في مالها وما عليها ودورها وآثارها السلبية والايجابية علي حياتنا اليومية وحياة مجتمعنا المستقبلية وألا ينساقوا وراء طروحات علماء الاجتماع الغربيين في عدم تناول هذا الموضوع لأنه لا يمثل ركيزة أساسية في بنائهم الاجتماعي.

ثانياً : مضامين الروابط القرابية :

تنطوي الروابط القرابية على الشروط الآتية:

1] الروابط القرابية هي علاقات تقوم علي التفاعلات المباشرة ، أي أن الأفراد يحتكون ببعضهم وجها لوجه دون الحاجة إلى وسطاء.

٢] اعتبار الروابط هدفا وليس وسيلة: أي يجب أن ينظر الأقارب إلى أقاربهم على أنهم ثروة كبري تعلوا على باقي الثروات ، وأنهم ملتزمون بواجباتهم تجاههم قبل التزامهم بباقي الواجبات

هذه الحقيقة تبرز بوضوح في المجتمعات البدائية والقبلية التي تجسد المثل النموذجي لقوة القرابة.

3) الروابط القرابية المجتمعات البسيطة وغير المتطورة تمتد إلى المجالات الأساسية في الحياة خصوصا المجال الاقتصادي والسياسي والزواجي والعقائدي وحتى الترفيهي وهكذا يمكن القول بأن مجال الروابط القرابية ينطوي على الحياة بكل أبعادها هذا الصنف من المجتمعات يجعل وظيفتها في واقع هذه المجتمعات بالغة التعقيد.

4) القرابة في المجتمعات السالفة تنشطر إلى عدة أصناف هي القرابة الدموية وقرابة المصاهرة والقرابة الطقوسية والقرابة العشائرية التي تعتمد علي اعتبارات عقيدية وأسطورية في اعتقاد بعض الجماعات الاسترالية القديمة بأنها تنحدر في الأصل من حيوانات.

5) القرابة في المجتمعات البدائية والقبلية تمارس تأثيرا ضبطيا في مختلف الميادين باعتبار أن أعضاء هذا الصنف من المجتمعات لا يفصلون حياتهم الخاصة وحياة أبنائهم عن حياة أقاربهم الأمرالذي يبيح لهم حق التدخل في شؤونهم والإشراف على ما يتعلق بقضاياهم وقضايا أسرهم.

6) لأن النسب له وزن في مجمل الحياة البدائية والقبلية فإن الصلات القرابية تعتمد علي خلفيات مرتبطة بالماضي وبأحداثه المختلفة الأمر الذي يجعل حصة الماضي في مجمل التفكير والطقوس والمواقف الاجتماعية وتقييم الاعتبار أكبر من حصة الحاضر والمستقبل.

7) بسبب التعصب الشديد للروابط القرابية فإن المجتمعات البدائية هي مجتمعات مغلقة يصعب علي الغرباء الاندماج فيها أو الحصول على مكانة رفيعة في تنظيمها الاجتماعي التي تشترط القرابة الدموية أساسا لاشغالها.

ثالثاً: النسب وروابطه :

النسب هو رباط يضم المنحدرين من سلف واحد أو هو الرباط الذي يميز الفرد (المنتمي إلى جماعة قرابية معينة) عن باقي الأفراد من خارج جماعته القرابية بواسطة منحه انحدارا وراثياَ دمويا ينحدر إليه كمرجع قرابي يتلقب به .

وهناك ثلاثة أنواع من الأنساب هي :

النسب الأمومي :

الذي ينطوي على روابط، تربط الشخص بأسلافه عن طريق أمه (نسب أحادي الخط) أي يعترف برابطته القرابية عن طريق الإناث فيبدأ خط نسبه في الأجيال الصاعدة بأمه وفي الأجيال النازلة بأبنائه وبنات أخته أو أخوته ، ويكون الميراث والتعاقب وفق هذا النظام عن طريق الإناث ، أي من الخال إلى ابن الأخت ، كما تكون السكني بعد الزواج مع الأم وأهلها .

والرجل في هذا النوع النسبي يكون حاصلاً على مكانته الاجتماعية وقوته وسلطته ونفوذه من جماعة أمه ، أي من أخواله ، والخال هنا يعد أقوى رجل (من الناحية الاجتماعية) في المجتمعات التي تأخذ بالنسب الأمومي ، والمرأة في ظل هذا النوع النسبي تأخذ موقعاً تابعا لأخيها (الرجل) وهذا يشير إلى أن الزوج لا يتمتع بدور حيوي في أسرته بقدر تمتعه في أسرة أخته . أي يبقي الرجل متبوعا والمرأة تابعة له حتى في ظل المجتمعات التي تأخذ بالنسب الأمومي ، لكن يحصل اختلاف في ممارسة الموقع الأسري والقرابي . أي أن موقع ودور الزوج والأب لا يكون حيويا بقدر موقع ودور الخال والمواقع الثلاثة يكون الرجل شاغلا لها.

النسب الأبوي:

أي الروابط التي تربط الشخص بأسلافه عن طريق أبيه (نسب أحادي الخط) أي تعترف روابطه القرابية عن طريق الذكور فقط فيبدأ خط نسبه (في الأجيال الصاعدة) بابيه (وفي الأجيال النازلة) بأبناء وبنات أخيه وأخواته ويكون الميراث والتعاقب وفق هذا النظام عن طريق الذكور . أي من العم إلى ابن أو أبناء وبنات أخيه وإخوانه ويكون والد الزوج ذلك الشخص الذي تصدر عنه الأوامر والواجبات الدينية والاقتصادية والسياسية لتنفذها أسرة ابنه بل يتدخل حتى في تسمية أحفاده ويملك الكلمة العليا والوحيدة في المجتمعات التي تأخذ بالنسب الأبوي بينما تفصل المرأة في المجتمع الذي يأخذ بهذا النوع في النسب نفسها عن نسبها الأسري الذي كانت منتسبة إليه قبل زواجها لتكتسب نسب زوجها.

ثنائي الخط:

أي الروابط التي تربط الشخص بأسلافه عن طريق أمه وأبيه معا. أي انتساب الشخص في نفس الوقت إلى جماعتين قرابيتين تتمم أحداهما الأخرى وهي جماعة أبيه الأبوية وجماعة أمه الأمومية لتحقيق أهداف اجتماعية معينة كأن ينتسب الشخص إلى الأولى لغرض الميراث وإلى الثانية لأهداف دينية ، والانتساب المزدوج قليل الوجود فهو موجود مثلا في (أفريقيا الغربية) بين قبيلتي الأشانتي والباكو .

و في الواقع يعنى النسب في المجتمع العربي الانتماء إلى جماعة اجتماعية يستخدمها العربي المنتسب إليها كجماعة مرجعية Reference group للتماثل والتطابق في تفكيره أو تصرفه الاجتماعي مع فكر ومعتقدات أعضاء الجماعة التي تنضوي تحت نسبه ويمثل النسب أيضا مسارا تاريخيا أو خلفية تاريخية تربط الفرد بأحد مكونات المجتمع والانتماء الاجتماعي والخلفية التاريخية يحددان مكانة الفرد داخل المجتمع.(عمر،155،2000)

رابعاَ : التحولات القرابية في المجتمع :

نبدأ حديثنا عن نواة القرابة المتمثلة في (الأسرة) التي تتكون – بالأساس . من زواج رجل بامرأة بعقد شرعي وبناء عليه يؤسس الزواج روا بط نسبية (نسبة إلى النسب) مع أسرة الزوجة واقاربها وفي الوقت ذاته يؤسس (الزواج) روابط نسبية مع أسرة الزوج وأقاربه وإزاء هذا التأسيس ينتج نوعين من الروابط الأولى قانونية – اجتماعية (بين الزوج والزوجة) [هذا إذا لم يكونوا من الأقارب قبل زواجهم أي زواج داخلي] والثانية بيولوجية بين (الابوين وأبنائهم).، هذه اللبنة الأولى للقرابة في المجتمع ، ومع تطور المجتمع وتوسعه وانتشاره على بقاع جغرافيه واسعة النطاق وتأثر افراده بالمؤثرات الجغرافية والاقتصادية والدينية والزراعية ، لم تبق علي شكل واحد يل حصلت تغيرات فيها الأمر الذي الزمها أن تضع تصنيف لصلات المصاهرة والروابط النسبية، وما يترتب عليها من مكانات وأدوار اجتماعية وشبكات ارتباطية لأفراد المجتمع تحدد التزاماتهم وواجباتهم تجاه أفراد القرابة الواحدة والأقارب الاباعد والغرباء ، لكن هذه التشكيلات الارتباطية اختلفت بسبب خضوعها لمتغيرات اجتماعية تطورية متعددة ،الأمر الذي أدي إلى شطر دور القرابة في المجتمع إلى شطرين الأول فاعل وناشط برزت هويته في المجتمعات ذات البناء المتصلب (في المجتمعات القبلية والريفية العرقية والطائفية وذات نظام الحزب الواحد والحاكم الأوحد) والثاني خامل ظهر أفوله في المجتمعات ذات الأبنية المرنة (في المجتمعات الصناعية والحضرية وذات الأنظمة السياسية الليبرالية والديموقراطية).

ويرجع تفعيل القرابة داخل مجتمعات بعينها الي وجود بعض المتغيرات منها :

١– صغر حجم المجتمع سكانيا.

٢– سكنى الجماعة القرابية الواحدة في منطقة جغرافية خاصة بهم.

3 – تفضيل الزواج الداخلي (من الأقارب) علي الخـــارجي (من خارج الأسرة أو القبيلة)

4 – تمتع الأسرة الممتدة الكبيرة باعتبار عال ومرموق الأمر الذي جعلها النموذج المفضل عند كل أفراد المجتمع.

5 – امتلاك الأسرة ثروة تدفع أبنائها إلى عدم الزواج من خارجها لكي يحافظوا عليها .

6 – بساطة نظام العمل داخل المجتمع وقيامه على مقاييس اجتماعية ومهنية موروثة لا تأخذ بالمقاييس الانجازية والأدائية.

7 – حيوية الحراك الاجتماعي الأفقي وأقفول العمودي أي مفاضلة الحرف والمهن والأعمال الموروثة في الأسرة والعمل فيها والحفاظ عليها دون تعلم مهنة أو حرفة تختلف عن مهنة أسرته أو أن يعمل بعيدا عن أسرة والده.

٨– ارتباط مكانة الشخص الاجتماعية بمكانته داخل جماعته القرابية وبمكانة جماعته القرابية أيضا .

9– عدم وجود جماعات وتنظيمات رسمية ينتمي إليها الفرد بل يرتبط بجماعته القرابية فقط .

١٠ – شعور الشخص بالاطمئنان النفسي والتكافل الاجتماعي والضمان الاقتصادي في تعاونه مع أفراد جماعته القرابية.

11 – بدائية التصنيع.

إن جميع هذه المتغيرات جعلت القرابة تصل إلى حالة المؤسسة الاجتماعية في نشاطاتها وتأثيراتها على افرادها .

وهنا لابد أن نذكر ان أول مرة ظهرت فيها القرابة على شكل مؤسسة اجتماعية كان في المجتمع الأمومي الذي يتصف بالعلاقات غير الشرعية والمشوشة.

وأضافت(ميري فارمر) أن القرابة في المجتمع تستخدم من قبل بعض الأفراد كوسيلة للوصول إلى مواقع اجتماعية وسياسية واقتصادية ولكن ذلك يتجسد عند الفرد الآفاق الذي لا يمتلك مقومات الطموح بشكل كامل الأمر الذي يدفعه إلى تسخير الروابط القرابية لتحقيق طموحاته التي تكون بعيدة المنال بالنسبة له أو لا يستطيع بلوغها بشكل قانوني أو بجهوده الخاصة .

- القرابة كمؤسسة وكجماعة اجتماعية :

تسود هذه الحالة القرابية المجتمعات البدوية والريفية والتقليدية لأنها تمثل أصول وجود التجمعات البشرية ضمن بقع أو مساحات جغرافية معلومة الأبعاد ، ومن هذا المنطلق تقوم القرابة بتحديد موقع الأسر وارتباطاتهم بها وإزاء هذا التحديد تمارس نفوذها وتأثيرها وتضع موانعها ومحرماتها وتطرح موافقاتها علي أبناءها ، فضلا عن وضع فروض أخلاقية وأدبية ومالية وواجبات تجاه انساب القرابة الواحدة ، وبذلك فإنها تمنح الفرد المكانة الاجتماعية واعتباره الاجتماعي والاطمنان النفسي والضمان المالي.

نذهب بعد ذلك إلى طرح المتغيرات التي عملت على تحويل القرابة كمؤسسة اجتماعية إلى جماعة اجتماعية صغيرة هي ما يلي:

& – نمو النسق التربوي بشكل سريع معتمدا علي العلوم الإنسانية وليس على العقيدة الاحادية أو الطائفة الدينية الواحدة أو مراحل تعليمية محددة .

&– انتشار نمط اختيار شريك الحياة الخارجي (أي من غير الاقارب) وتقلص نمط اختيار شريك الحياة الداخلي (أي من الأقارب).

&– انشطار الأسرة الممتدة الكبيرة إلى الصغيرة .

&- محدودية ثروة الأسرة واعتماد أعضائها على دخل محدود دون الاعتماد على ثروة الوالد الامر الذي جعل أعضائها غير مندفعين إلى زواجهم من أقاربهم فضلا عن المنع الذي لا يجيز لهم بـالزواج من الاقارب لأسباب صحية لا غير.

&- تحول الحراك الاجتماعي من الاتجاه الأفقي نحو العمـودي وظهور مؤسسات وتنظيمات رسمية تطلب أشخاصا يعملون فيها حسب كفاءات وخبرات إنجازية وليس حسب الانتماء القبلـي أو الروابط النسبية الأمر الذي دفع الأفراد لاكتساب مهارات وقـدرات حسب كفاءاتهم وطاقاتهم وليس حسب مهن ابائهم وأسرهم.

&- تشتت سكن أفراد القرابة الواحدة علـي أماكم جغرافية متباعدة يصعب تواصلهم وتعاونهم بشكل مستمر.

&- تشعب وتفرع نظام تقسيم العمل إلى اختصاصات دقيقة قائمة على التخصص الدقيق و الكفاءة العالية والخبرة المعمقة .

&- عملت الاختراعات التكنولوجية على تسهيل المهام المنزليـة بحيث خففت من اعتماد الأسرة على أقاربها أو طلب مساعدتهم .

&- سيادة نظم الملكية الفردية

&- الزيادة السكانية حالت علي القرابة من أن تقوم بوظائفها التي كانت بها في مجتمعات ذات كثافة سكانية بسيطة.

&- سيادة القيم المادية على المعنوية.

هذه المتغيرات عملت على تحويل القرابـة من حالتـها كمؤسسة اجتماعية لها تأثيراتها النافذة - فـي السلوك والتصرف والتفكير - علي أعضائها إلى جماعة اجتماعية ليس لها دورا فعالا في روابطها بل حولتها إلى علاقات موقعية تخضع لظروف العمل والتفاعل الاجتماعي .

- **القرابة كجماعة اجتماعية.**

حيث تسود هذه الحالة القرابية المجتمعات الصناعية والحضرية التي لا تهتم إلا بحدود ثلاثة أجيال فالفرد الأمريكي مثلا نجده لا يهتم إلا بمعرفة اسم جده (أبو والده) ولا يعير أهمية لأقاربه بعد جده في بعض الحالات وقد حلت محل القرابة جماعات اجتماعية منها الجماعات العمرية والطبقة الاجتماعية وأصدقاء العمل وزملاء النادي الرياضي وأصدقاء الهوايات أثناء وقت الفراغ . فكلما تحول المجتمع الى الحضرية والتصنيع انتقل من النظام القرابي كمؤسسة إلى القرابة كجماعة اجتماعية (عمر،162،2000)

الفصل السادس

المسئولية الاجتماعية نحو تيتيم الأطفال ضحية الطلاق

"أبعاد تطبيق قانون الرؤية"

فى تلك الآونة الأخيرة نجد أن مجتمعنا حدثت له بعض التغيرات التى تخص الأسرة كمشاركة بعض المؤسسات الحديثة للأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية بما تنشره بين الشباب من اتجاهات وانتماءات مستحدثة مخالفة لاتجاهات الأسرة الشرقية الإسلامية – مثل وسائل الإتصال الحديثة ، و كذلك انشغال بعض الأسر عن أبنائهم وبناتهم لأسباب العمل والسفر لجمع المادة وغيرها– هذا ما كان له الأثر على الأبناء فيما يخص ثقافتهم وبناء شخصياتهم وتعودهم تحمل المسئولية ، ربما جعلهم ذلك غير قادرين على تحمل مسئولية الزواج وتكوين الأسرة ، كما أصبحت دعائم قيام الأسرة تقوم على المادة أكثر من الإلتزام الديني ، ومن ناحية أخرى تحرر بعض الشباب فى عملية الاختيار الزواجي وتجاهل رأي الوالدين الذى يكون دائماً أكثر عقلانية ، ربما لتلك الأسباب وغيرها ازدادت معدلات الطلاق فى المجتمع .

فمع تزايد معدلات الطلاق زاد عدد الأطفال المتضررين من جراء حدوث هذه المشكلة ، لذا جاءت هذه الدراسة لمعرفة مدى تأثر الأطفال نتيجة حرمانهم من أحد أبويهم بعد الانفصال حيث يتم ضمهم إلى أحد الأبوين والذى يتعنت أحياناً فى موضوع رؤية الطرف الآخر لأبنائه متوهماً أنه بذلك ينتقم منه ، لكن فى حقيقة الأمر الإنتقام يكون من الأبناء الذين ليس لهم ذنب سوى أن قدرهم جعلهم أطفال حصيلة أسرة مقوضة بيدي طرفين لم يحسنا مسئوليتهم تجاه زينة الحياة الدنيا كما وصفهم القرآن الكريم " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " (آية46 ، سورة الكهف)

ولتقنين مشكلة الرؤية للأبناء نجد هناك نصوص قانونية فى قانون الأحوال الشخصية تحدد ذلك وتتابعه متمثلة فى(قانون الرؤية) الذى ينص علي وجوب رؤية غير الحاضن لأطفاله في مدة زمنية محددة وفى مكان محدد ، ولكن الملاحظ فى الآونة الأخيرة معاناة الكثير من الأطفال نتاج هذه الأسر عند الرؤية وكذلك بعض الأطراف غير الحاضنة فما أسباب ذلك ؟ هل تنحصر الأسباب فى ثغرات فى القانون أم تعنت بعض الأطراف والأسر ؟ من

المسئول عن تيتيم هؤلاء الأطفال بالرغم من وجود والديهم على قيد الحياة ؟ وكيف يمكن الحفاظ على أطفالنا من التأثيرات السلبية لذلك وهم لا حول ولا قوة لهم فيما يحدث ؟ إنها مشكلة غاية فى الأهمية نظرياً وتطبيقياً فى مجتمع أصبحنا نرى فيه أطفال الشوارع فى كل مكان سواء فى وجه بحري أو فى صعيد مصر ، ربما تفاقم هذه المشكلة تكون ضمن أسباب هروب بعض الأطفال إلى الشارع لتسجيل مزيداً من الأعداد التى نريد أن نجد لها حلولاً على المستوى الدولي والمحلي ، نرى أيضاً العنف الذى تأصل فى سلوكيات الأبناء فى البيوت والمدارس والشوارع ، وبوجود تلك المشكلة البحثية تتضح مساهمات الكبار فى وجود المشكلات فى سلوكيات الصغار

بعض المفاهيم المهمة في الموضوع:

المسئولية الاجتماعية : Social Responsibility المسئولية فى قاموس "ويبستر" تعني واجباً معيناً على الفرد أداءه مثل مسئولية المدير فى منصبه ، أو شخصاً ما يكون مسئولاً عن شخص آخر كمسئولية الأب عن ابنه ، والمسئولية الاجتماعية هى مسئولية الفرد أمام ذاته عن الجماعة التي ينتمي إليها" ، كما أن المسئولية الاجتماعية هي مجموعة استجابات الفرد علي مقياس المسئولية الاجتماعية تلك الاستجابات النابعة من ذاته والدالة علي حرصه علي جماعته وعلي تماسكها واستمرارها وتحقيق أهدافها وتدعيم تقدمها في شتى النواحي وعلي تفهمه للمشكلات والظروف التي تتعرض لها في حاضرها ومستقبلها .

إن المسئولية التى نتحدث عنها ترتبط بتقسيم علماء القانون للمسئولية فهى أدبية لا تدخل فى إطار القانون ولا يترتب عليها جزاء قانوني أى موكولة إلى الضمير ، وقانونية مصدرها القانون وقواعده وتشمل جميع المسئوليات المستمدة من الدساتير والقوانين التي يحتذيها المجتمع وتترتب عليها جزاءات مادية أو معنوية

كما ترتبط بتقسيم علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وعلماء الأخلاق فى إطار الفهم الإسلامي للمسئولية ، حيث المسئولية الدينية ومصدر الإلهام فيها الوحي الإلهي

وتشمل جميع التكاليف التى التزم بها الإنسان من قبل الله تعالى ، والمسئولية الأخلاقية ومصدرها الإلزام النفسي وتشمل جميع الأخلاق والآداب التى تنشأ من النفس ، والمسئولية الاجتماعية ومصدرها الإلزامي قوة الضغط الاجتماعي وتشمل جميع النظم والتقاليد التى يلتزم بها الإنسان من قبل المجتمع .

فإذا ما تأصلت فى الإنسان المسئولية الدينية استمد منها التزامه بالنوعين الآخرين ، وفى دراستنا الحالية يحتاج الإنسان أن تتأصل فى نفسه كل تلك الأنواع لعظم هذه المسئولية وعظم تأثيرها على الطفل والأسرة والمجتمع .

كذلك هي مقدرة الوالدين علي تحمل تبعات انفصالهما بالطلاق والتزامهما بواجبهما تجاه حقوق أبنائهما فى رؤية الطرف غير الحاضن لأبنائه دون ضغوط نفسية على الطفل من الطرفين أو وضع العراقيل التى تعطل اتمام هذه الرؤية فى جو نفسي مناسب للطفل حتى يستشعر وجوده فى أسرة متكاملة ولا يحرم حنان الأمومة ورعاية الأبوة .

قانون الرؤية : هو قانون يندرج تحت قوانين الأحوال الشخصية وهو ينظم عملية رؤية غير الحاضن سواء كان الأب في حالة عدم حضانة أو الأم بعد انتهاء الحضانة ، لإبنه أو ابنته في حالة عدم اتفاق المطلقين بتحديد ميعاد الرؤية أو مكانها ويكلف من عنده الولد بإحضاره ليراه الأخر وإذا امتنع عن إحضاره أجبر عليه (حسن ،249،2004) ، وذلك تطبيقاً لأحكام المادتين (67-69) من القانون رقم 1 لسنة 2000 (منصور،214،2004)

الرؤية :هى حق الوالدين غير الحاضنين فى رؤية أبنائهما فى حالة انفصالهما بالطلاق و حق الأبناء أيضاً فى رؤية الوالدين للتمتع بالإحساس بحنانهما ورعايتهما، وكذلك حق الأجداد فى رؤية أحفادهما وعدم حرمان الأبناء منهما .

اليتم :هو شعور الطفل بالحرمان النفسي والاجتماعي والحرمان من الرعاية عند فقده لأحد والديه أو كليهما بالوفاة وهو فى سن صغيرة .

كما ان التيتيم هو حرمان الطفل من حنان ورعاية وتوجيه وإرشاد أحد والديه رغم وجوده على قيد الحياة وذلك بسبب انفصال الوالدين بالطلاق ووجود مشكلات فى مسألة الرؤية للطرفين.

الطفل : هو كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشر ، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه (قانون بلدته) (اتفاقية حقوق الطفل).

ويري علماء الاجتماع أن الطفولة هي تلك المرحلة المبكرة في حياة الإنسان الذي يعتمد فيها الفرد علي المحيطين به في المأكل والملبس والمأوي والتعليم والصحة (عبد الغني،59،2007)

فالطفل هو إنسان فى مرحلة عمرية مبكرة ، له والدان منفصلان بالطلاق وهو فى حاجة إليهما لتلبية احتياجاته النفسية والاجتماعية والمادية .

الرؤية وتيتيم الأطفال : تحليل اجتماعي اقتصادي :

إن حق الرؤية للطفل الصغير هو حق لكلا الأبوين فإذا انفصل الزوجان وانضم الطفل إلى حاضنته أو انضم بعد انتهاء مدة الحضانة إلى أبيه وجب لكل منهما الحق في رؤية طفله خلال انضمامه للطرف الآخر فى فترات دورية متقاربة .

وقد تقرر حق الرؤية للطفل فى رؤية والديه، فهو حق للصغير كما هو حق لأبويه لما لمردود تلك الرؤية على الصغير عاطفياً ونفسياً ، إذن الرؤية حق متبادل بين الطفل وأبويه وربما كانت حق للطفل فى المقام الأول ويقوم النزاع عليه من قبل الأبوين .

والملاحظ أن حكم الرؤية ينفذ دون مراعاة لنفسية الطفل ، وهنا ينفذ الحكم كما لو كان ضده حيث يتم اصطحابه إلى مكان الرؤية مهما كان ينفر منه فيضيع بين ثنايا هذا الشعور أى شعور آخر بالفرحة للقاء أمه أو أبيه ، وهذا التأثير ضد حق تمتع الطفل بوجوده فى كنف والديه وشعوره بالأمان والفرحة .

إن الأصل فى مسألة الرؤية أن يتم تنظيمها اتفاقاً بين الوالدين بعد الإنفصال فيحددان الزمان والمكان لرؤية كل منهما صغيره ، فإذا تعذر ذلك نظم القاضي هذا الحق بناء على الدعوى المرفوعة من غير الحاضن .

ربما كان هناك بعداً اقتصادياً فى مسألة الرؤية والنزاع الدائر بضراوة بين الطرفين بخصوص تلك المسألة والذى يضار فيها الطفل فى المقام الأول حيث يتمثل الجانب الاقتصادى حينما يكون الطرف الحاضن هى الأم فإذا كان الوالد يدفع النفقة للأم والأطفال بدون مشاكل تساهلت معه فى الرؤية وإذا كان العكس ترد المعاملة بالمثل فى التعنت

والمراوغة فى الرؤية للأبناء ، فرؤية الأبناء دون مشاكل هى وسيلة الضغط المستخدمة من الحاضنة مع غير الحاضن لتنفيذ رغباتها المادية.

إن هذا البعد الاقتصادي نجده يتوافق مع مقولة "بيتر بلاو" فى نظرية التبادل الاجتماعي (كلما ازداد انتهاك التزامات التبادل أثناء علاقات التبادل ، ازداد اتجاه الأطراف المحرومة بفرض عقوبات سلبية على هؤلاء الذين ينتهكون معايير التبادل) "(تيرنر ،358،2000)

يرتبط ذلك أيضاً بنظرية الصراع حيث نجد (جولس هنرى) يرجع الصراع إلى قلق الإنسان وسعيه إلى إشباع احتياجاته المادية متناسياً النواحي العاطفية التى تربط الزوج بالزوجة والوالدين بالأطفال (الخشاب،167،1993)

وإذا كان قد حدث انفصال هنا بين الزوج والزوجة وانتهت المشاعر العاطفية بالنسبة لهم لكن هذه العواطف بين الوالدين والأبناء باقية ولابد من الحفاظ عليها من الطرفين وذلك ما لا يحدث غالباً فى هذه القضية .

وربما ارتبط ذلك الموضوع أيضاً بوجهة نظر" داهرندروف" عند تناوله للصراع قائلاً أنه ينتج عن قهر الجماعات ، كما أن العنف يعتمد على أوضاع الحرمان المطلق والنسبي (عبد الرحمن ،95،2002)

إن هذا الصراع على مسألة رؤية الأبناء بين الوالدين المنفصلين والذي من الممكن أن يتسبب فى تيتيم الأبناء رغم وجودهما على قيد الحياة ، ربما ترجع أسبابه إلى القهر الذي

سببه أى من الطرفين للآخر أثناء الحياة الزوجية وكان نتيجته الإنفصال ، هذا الصراع أيضاً والعنف بين الطرفين لحرمان أياً منهما من مشاعر الأبوة أو مشاعر الأمومة ربما يرجع إلى تسبب أحد الطرفين فى حرمان الآخر من احتياجاته سواء أثناء الحياة الزوجية أو بعد انتهائها بالإنفصال ، يتمثل ذلك فى الصراع بينهما داخل أروقة المحاكم والحرمان من الأمان والسعادة لهما ولأبنائهما .

ومن جهة أخرى نجد أن " كوزر " في دراسة عن الصراع الاجتماعي تحدث عن الدور الذي تلعبه عواطف الناس في حدوث الصراع الاجتماعي حيث أكد آراء "سيمل" حول مدى تأثير تلك العواطف علي ظهور الصراع العدائي وخاصة بين الأفراد الذين تجمعهم علاقات اجتماعية قوية حيث تظهر مظاهر الحب أوالكراهية بصورة واضحة ضمن إطار هذه العلاقات والتي تنتج عن نوعية العواطف وتأثيرها علي طبيعة علاقاتهم الحياتية (عبد الرحمن،89،2002)، وبتحليل هذه المقولة النظرية نجدها تنطبق على ظروف الأطراف المنفصلة بالطلاق و التي تطبق قانون الرؤية فنتيجة لوجود الصراع العدائي والذى وقع بناء عليه الطلاق ، أصبحت تحكمهم مجموعة من عواطف الكراهية الناتجة عما حدث من تجاوزات أو أخطاء قبل وأثناء تطبيق الحكم سواء من جهة الحاضن أو غير الحاضن والمشاكل الناتجة سواء في عدم الاتفاق علي ميعاد أو مكان أو عدم رغبة الحاضن في أن يرى غير الحاضن أبنائه أو العكس وهوعدم الشعور بالمسئولية من غير الحاضن في الاطمئنان علي طفله ، مما يؤدي إلي تولد مشاعر الكره لدي الطفل تجاه غير الحاضن وذلك يعكس ظهور مشاعر الإحساس باليتم لدى الأطفال .

إن حق الحضانة للأطفال وحق الرؤية الهدف منهما هو الوفاء من الطرفين بعملية التنشئة الاجتماعية للأبناء كما حث عليها الدين الإسلامى ، فالتنشئة الاجتماعية للأبناء من قبل الوالدين هى حق لهم كما جاء فى القرآن والسنة .

فالله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين لأنه سبحانه وتعالى يعلم ما لهذه الفترة من أهمية فى حياة الصغير صحياً ونفسياً ، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن فترة عامين للرضاعة الطبيعية ضرورية لينمو الطفل نمواً سليماً ، أيضاً الثلاث سنوات الأولى فى حياة الطفل هى فارقة فى حياته باستخدام أساليب التنشئة الصحيحة وما بعدها من سنوات عمره التى يحتاج فيها للدفء العاطفي من كلا الوالدين .

فهناك حقوق للطفل على والديه أولها حق الحضانة والمراد بحضانة الصغير تربيته ورعايته والقيام بأمر طعامه ولباسه ونظافته فى المرحلة الأولى من عمره ، وإذا ما انتهت الحضانة وهى ولاية التربية ، جاء الدور الثاني وهو الولاية على النفس وتشمل ولاية التربية والتهذيب ، وهذه الولاية تثبت للرجال لأن الطفل ذكراً كان أو أنثى بعد انتهاء سن الحضانة يكون فى حاجة إلى دور الرجال فى التوجيه لشئون الحياة وأول من يستحق ذلك هو الأب ، ثم تأتى بعد ذلك الولاية على المال ، وهذه تثبت على الأولاد بالنسبة لأموالهم إذا كانت لهم أموال وتستمر إلى أن يصبح الصغير رشيداً " (رضوان،89،1979)

إن حضانة الطفل جزء من الولاية على نفسه تختص بها الأم وهى حق للطفل إلى أن يبلغ السن التى يستغنى فيها عنها وهى تمثل مرحلة زمنية هى عمر حضانة الطفل سواء خلال قيام الزوجية أو بعد انتهائها ، كما أنها حق مزدوج للطفل وللحاضنة بالنسبة للأم ولايجوز التنازل عنها وإنما يجوز سلبه منها إذا لم تتوافر فيها الشروط المطلوبة فى الحضانة ، فهى وإن كانت حقاً للحاضنة فهي فى نفس الوقت التزام وواجب تلتزم به ولو جبراً عنها (الأودن، 176،2001)

إن التفوق الحضاري الذى نرنو إليه يحتاج إلى بناء مواطنين صالحين أسوياء ولا نستطيع أن نصل إلى ذلك إلا بالإستعانة بالمنهاج التربوي الإسلامي حيث يقدم لنا رؤية تربوية

كاملة صالحة لتربية وتهذيب أبنائنا الذين يمثلون المستقبل إن أردناه مشرقاً فبأيدينا ، وإن أردناه عكس ذلك فبأيدينا أيضاً .

وإذا تأملنا منهاج غير المسلمين فى قوانينهم الوضعية الخاصة بتلك القضية نجدهم يذكرون أن القضايا الأساسية فى طلاق الوالدين تكون بتحديد أى منهما سوف يتولى حضانة الطفل والتى تفترض المسئولية الأولية فى رعاية هؤلاء الأطفال وأيضاً اتخاذ القرارات الخاصة بتربية الأطفال ورعايتهم ، ولقد اتضح من خلال القوانين المنظمة لعملية الطلاق أن حضانة الطفل هى امتداد لأدوار النوع التقليدية ، فعادة ما يكون الآباء المطلقين لديهم مسئولية قانونية وشرعية للدعم المالي لأطفالهم بينما الأمهات المطلقات يظلون بطبيعتهم الحنونة فى رعاية أطفالهم والعناية بهم يوماً بعد يوم ، وفى هذا الصدد تشير آخر الإحصاءات الخاصة بذلك أن هناك حوالي 83% من الحاضنين من الأمهات بينما 17% فقط من الآباء ((Lamanna,2009,43

إن ما يحدث فى قضية الحضانة والرؤية من نزاعات وصراعات فيها تعدى من طرف على حق الآخر الذى كفله له الدين الإسلامي لأنه يضمن مدى استفادة الطفل منه بناء على المرحلة العمرية التى يمر بها حتى نخلق جيلاً سوياً شرب من حنان الأم فلا يخرج للدنيا محروماً معقداً، وتعلم وتربى وتهذب وتم توجيهه توجيه الرجال فتتكون شخصيته المتزنة.

إن الظواهر الاجتماعية غير السوية التى يعاني منها مجتمعنا اليوم مثل الإنحراف والبلطجة وأطفال الشوارع ليست أسبابها التدني الاقتصادي فقط الذى تعيشه الدولة ، ولكن التفكك الأسري المصحوب بالصراعات وعدم الإحساس بالمسئولية تجاه رعايتنا لأبنائنا وتربيتهم بطريقة سليمة ، إن حل مشكلات الأسرة هى السبيل لاستقرار المجتمع ، فالقاعدة العامة هى الأسرة المتحابة القائمة على المودة والرحمة والاستثناء الذى لا يجوز التوسع فيه

– مثلما يحدث الآن – هو الانفصال الذى انتشر نتيجة التخلي عن تراثنا الأخلاقي والأخذ بالمبادىء العولمية الحديثة السلبية .

وربما نجد تصديقاً على ذلك فى قول " جيدنز " ان المجتمعات المحلية وتقاليدها الراسخة تبلى تماماً بفعل الحداثة ، ويحدث ذلك بسبب العولمة ، فوسائل الإعلام الحديثة المسموعة والمرئية لديها المقدرة على اختراق كل بيت وكل مجتمع محلي فى العالم وتتولى عملية العولمة تفريغ المجتمعات المحلية من تراثها الراسخ .(عبد الجواد،120،2002)

إذن للعولمة القدرة على اختراق تقاليدنا الراسخة التى تمجد النظام الأسري والحفاظ عليه ، هذه التقاليد التى لديها المقدرة على إرساء دعائم التضامن والتماسك الاجتماعي و تلعب دوراً كبيراً فى تدعيم هوية الفرد والأسرة ، والتى من شأنها أن تبقي على النظام الأخلاقي والذى يقوم على وجود الإحترام والإيثار داخل الأسرة كى يستقيم حال بنائها الداخلي وتكون متماسكة متحابة رغم وجود بعض المشكلات بداخلها ، حتى وإن كان هناك قراراً بالإنفصال فليكن بهدوء مع الحفاظ على حقوق الأبناء بدلاً من دخولهم إلى غيابات المحاكم التى تنتهك براءة طفولتهم .

قانون الرؤية .. تحليل اجتماعي نقدي :

عندما نتناول نص القانون نجده فى المادة الخامسة من قرار وزير العدل رقم 1087 لسنة 2000 ينص على ألا تقل مدة الرؤية عن ثلاث ساعات أسبوعياً بين الساعة التاسعة صباحاً والسابعة مساءً ويراعى أن تكون خلال العطلات الرسمية وبما لا يتعارض وانتظام الصغير فى دور التعليم (موافي، 115،2009) ، والملاحظ أن تلك الفترة تعتبر قليلة جداً بالنسبة للطرف الذي يريد أن يرى ابنه ويألفه ويحرص على إقامة علاقة حنونة حميمية بينهما ويقوم بدور التوجيه والنصح والإرشاد والتهذيب وأيضاً اللعب معه ويعرف كيف تسير أمور حياته وما يفرحه وما يحزنه ويؤرقه .. كيف يقوم الطرف غير الحاضن بكل تلك الأمور فى هذا الوقت الوجيز ؟

وإن كان القانون قد قرر (أن لا تقل مدة الرؤية عن ثلاث ساعات أسبوعياً) أى أنها من الممكن أن تزيد عن هذا الحد فالقانون لم يحدد عدد مرات الرؤية واقتصر بتحديد عدد الساعات أن لا تقل عن ثلاث ساعات فى الأسبوع فهناك إذن جواز زيادة عدد المرات في الأسبوع بما لا يتعارض مع مصلحة الصغير إذا طلب ذلك صاحب الشأن .

ولكن ما يحدث فى الواقع أنها تفهم وتنفذ على أنها ثلاث ساعات فقط ، ومعنى ذلك أن المجتمع فى إحتياج إلى الإلزام القانوني بتعدد مرات الرؤية كنص صريح في القانون.

وفى هذا الصدد أيضاً لا نجد فى نصوص القانون ما يحول دون اتفاق الطرفين على بقاء المحضون طرف غير الحاضن فترة طويلة خلال الأجازات والأعياد ، وفى نفس الوقت لا

نجد نصاً يلزمهم بذلك ، وعليه فلا يوجد هذا الإتفاق بتأثير النزاعات والمشاحنات التي بين الطرفين بعد انتهاء الحياة الزوجية .

كذلك نجد أنه طبقاً للقواعد الموضوعية التى حددتها المادة 20 من القانون 25 لسنة 1929 المعدل بالقانون 100 لسنة 1985 بقولها فى فقراتها 2، 3 ، 4 " ولكل من الأبوين الحق فى رؤية الصغير أو الصغيرة وللأجداد مثل ذلك عند عدم وجود الأبوين (موافي، 2009، 121)

إذن أوضح القانون من له حق الرؤية وهم الوالدين ، وللأجداد حق الرؤية عند غياب الوالدين ولكن أين حق القرابة وصلة الرحم والتضامن الأسري وهي موجودة بمنهاج المعاملات الانسانية فى الشريعة الإسلامية ، فالإبن فى هذه الحالة يخرج غريباً تماماً عن الأسرة القرابية الكبيرة أسرة غير الحاضن ، وهذا ما يلحق الضرر بالإبن ، وما يزيد هذا الضرر أنه عندما تنتهي فترة الحضانة وينتقل الإبن إلى الطرف الآخر ويحاول الإندماج داخل أسرته يجد صعوبة بالغة لأنه لم يتعود عليهم فى سن صغيرة فيجد نفسه منعزلاً غريباً وكثيراً ما يصاب بالإكتئاب ، إذن ماذا جنى الطرفان المتنازعان سوى ضياع أطفالهما نتيجة ثغرات قانونية وأساليب انتقامية صادرة عنهما عمداً .

ومن ناحية أخرى نجد أن التعديل الذى ورد على المادة 20 فى القانون رقم 25 لسنة 1929 المعدلة بالقانون رقم 4 لسنة 2005 أن حق الحضانة للنساء ينتهي ببلوغ الصغير والصغيرة سن الخامسة عشر ويخير القاضي الصغير أوالصغيرة بعد بلوغ هذه السن فى البقاء فى يد الحاضنة دون أجر حضانة وذلك حتى يبلغ الصغير سن الرشد وحتى تتزوج الصغيرة (موافي، 2009، 9)

إنه بمقتضى هذه المادة تم رفع سن الحضانة الذى ترتب عليه طول مدة الطفولة التي يعيشها المحضون مع الحاضنة حيث إنه من المتعارف عليه أن فترة الحضانة هي مرحلة الطفولة ، وإن كانت تلك الإطالة فى ظاهرها مصلحة المحضون إلا أ نها تؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها وتنعكس على المجتمع بالسلب ، ففى السنوات الأولى من تنشئة الطفل يحتاج إلى رعاية الأم التي تتضمن احتضانه والحنو عليه ورعاية مأكله وملبسه وتهذيبه ، حتى إذا ما اشتد ساعده كانت مصلحته فى الاختلاط بالرجال إن كان ذكراً والتخلق بأخلاقهم فى شتى المناحي بدءً من ملبسهم ومروراً بطريقة حديثهم واعتمادهم على ذاتهم وقدرتهم على تحمل القيادة والثقة بالنفس ، كما في احتياج الأنثى لأبيها من الرعاية والملاحظة وغرس القيم الدينية فى نفسها بما يجعلها بمنأى عن الإنحراف وراء مغريات الدنيا والتى درج مجتمعنا على استيرادها من الخارج ، ربما تسببت تلك الإطالة فى تفشي الظواهر السلبية فى المجتمع من انحراف وعنف وعدم تحمل المسئولية والامبالاة .

ومن ناحية أخرى بعد هذه السن الطويلة من الحضانة يخير القاضي الصغير أو الصغيرة فى استمرارية البقاء مع الأم أو الانتقال إلى حضانة الأب ، ومن الطبيعي أن الصغير غالبا ليست لديه القدرة على تقدير مصلحته ولكنه عاش حياته مع الأم وارتبط بها أكثر – ولو بحكم طيلة مدة الإقامة – بالتالي سوف يختارها الصغير أو الصغيرة ن وبذلك تكون الحياة كلها مع أحد الطرفين ويحرم الثاني من أبنائه كما يحرمون هم من آبائهم نتاج عدم الحكمة فى الاختيار لعدم تقديرهم للمصلحة فلم يلتفت القانون لهذه القضية رغم أهميتها البالغة.

وبالدراسة العملية لهذا الموضوع اتضحت بعض النتائج والرؤى التي نلخصها في :

أولاً : فيما يرتبط بالبعد الاجتماعي لتطبيق قانون الرؤية :

* تسود العلاقات السيئة بين نسبة كبيرة من طرفي البناء الداخلي للأسرة فمازالت الأم تطالب بالطلاق فى المحاكم والنزاعات على أشدها ، وعلى جانب آخر يتم الحكم بالرؤية ، مما

ينعكس على تعنت الحاضنة فى تنفيذ الحكم لغير الحاضن وذلك ما يسبب تيتيم الأطفال من الطرف الثاني .

*** تتسم علاقات البعض بالتفاهم بشكل حضاري فيما يخص مصلحة صغارهم ، وانعكس ذلك بالتأثير الإيجابي على سلوك ونفسية الصغار ، إلا أنه رغم ذلك يشعر أطفالهم بإحساس اليتم نتيجة الاتفاق على الرؤية فى المناسبات والأجازة الصيفية فقط وقد كانت تأخذ شكل الإستضافة لعدة أيام لتعويض الرؤية الأسبوعية خلال العام كله .**

*** أثبتت الدراسات أن نسبة كبيرة من غير الحاضنين لا يعرفون شيئاً عن حياة وخصوصيات ومشكلات أبنائهم بسبب تدخل الحاضنة وأسرتها ورفضهم تدخل غير الحاضن فى حياة أبنائه ، مما يؤثر بالسلب على المحضون ويشعره باليتم من أبيه ، هذا السلوك من الحاضنة وأسرتها يثبت أن فهمهم للرؤية فهماً خاطئاً على أساس أن يرى غير الحاضن صغيره حيُ يرزق فقط دون التدخل فى حياته أو مشاركته كل ظروفه وقت الرؤية لتمثل الحياة العائلية الودودة معه ، فهذا ليس من حقه على حد فهمهم الخاطىء لحق الرؤية .**

*** النسبة الأكبر من مواقف الرؤية بين غير الحاضن والصغار رسمية تفتقد إلى مشاعر الود والعاطفة المتبادلة .**

***إن أكثر الأطفال الذين ينفذ معهم حكم الرؤية غرباء عن أسرة غير الحاضن ، فحق الرؤية للوالدين فقط وفى حالة عدم وجودهم يكون الحق للأجداد وبالتالي فهم لا يرون أعمامهم أوعماتهم وأبنائهم وباقي الأهل ، مما يتسبب في أنهم ينشئون لا يعرفون شيئاً عن صلة الرحم مع أسرة غير الحاضن والتي غالباً ما تكون أسرة الأب .**

***من المعروف أن مجتمع الصعيد مجتمع قبلي يتصف بالعصبية القبلية وعندما تتدخل العصبية القبلية فى مصير رؤية الإبن أو الإبنة للأب فهذه هى الطامة الكبرى حيث يتدخل مستوى العائلات والقبائل فى النظرة إلى الأب وبصفة خاصة إذا كان مستوى قبيلته أقل من مستوى قبيلة الأم ويلازم ذلك التعنت في الرؤية والمواظبة عليها .**

مما سبق يتضح تأثير البعد الاجتماعي بصوره المختلفة على تطبيق قانون الرؤية من جهة وكذلك التاثير السلبي اجتماعياً على الأبناء المحضونين عند تنفيذ حكم الرؤية .

ثانيا :ما يرتبط بالبعد الاقتصادي لتطبيق قانون الرؤية :

***إن الحاضنات تتعرضن للتعنت من قبل غير الحاضن فى الإنفاق عليهن وأطفالهن ويكون إنتقامهن فى التقاعس عن تنفيذ حكم الرؤية لأبنائه .**

***إن غير الحاضنين يجلبون الهدايا لأبنائهم وقت الرؤية ويعطونهم أيضاً نقود كوسيلة لكسب ودهم لأنهم على يقين بأن الحاضنة تحاول زرع كره أبيهم فى نفوسهم فيستخدم تلك الطريقة كمحاولة منه ليبطل محاولات الحاضنة .**

*** إن غير الحاضنين لا ينفقون على علاج أبنائهم وهذا ما يثير غضب الحاضنات فيكون الرد بالتعنت فى رؤية الحاضن لأطفاله والذى بدوره يزيد من تيتيم الأطفال .**

***كثير من الأطفال محرومين من الإنفاق على شراء الحلوى والسلع الترفيهية كأقرانهم فى المدرسة وهذا ما يشعرهم بالحرمان الاقتصادي والذى يؤثر فى نفسياتهم الصغيرة ويشعرهم بالنقص والدونية عن زملائهم .**

إذن للبعد الاقتصادي تأثير واضح فى تطبيق قانون الرؤية إذ أنه يتحكم فى مدى تطبيقه والالتزام به طبقاً لرضى الطرف الحاضن عن الاقتصاديات وتلبية الاحتياجات التي يقدمها له الطرف غير الحاضن .

ثالثاً : ما يرتبط بالبعد النفسي لتطبيق قانون الرؤية :

***دائما ما يتأذى الأطفال نفسياً من جراء المكان الذي ينفذ فيه حكم الرؤية (وحدة صحية) حيث إنه لا يدعو إلى البهجة والسرور والفرح وهى المشاعر الطبيعية التي ينتظر أن يشعر بها الطفل عند لقاء غير الحاضن سواء الأب أو الجد.**

***إن الأطفال الأخوة كثيرا ما يشعرون بالإغتراب النفسي والاجتماعي عن بعضهم البعض ، وذلك إما لاتفاق الطرفين على اقتسام حضانة الأطفال بينهما منذ نعومة أظافرهم ، وهذا البعد يحرمهم من مشاعر الأخوة حيث إنهم لا يلتقون إلا فى الإجازة الصيفية فقط ، أو لرفض الحاضنة مقابلة المحضون فى منزل غير الحاضن مع أخوته خوفاً على طفلها من زوجة الأب.**

***تعاني الصغيرات المحضونات من الإنطواء في المدرسة وعدم الإندماج مع الأقران فى الأنشطة واللعب وغيرها ، كما ثبت أن الصغار الذكور يتسم سلوكهم بالعدوانية .**

***الكثير من الأطفال للطرفين المتنازعين تأصلت فيهم مشاعر الخوف وعدم الشعور بالأمان الاجتماعي والنفسي .**

*** الأطفال الذين ينفذون حكم الرؤية هم مختلفون عن قرنائهم ويتمنون لو أنهم يعيشون فى أسرة متكاملة متحابة مثل باقي زملائهم .**

إذن يتأثر أطراف الرؤية نفسياً بطريقة سلبية عندما تكون هناك مشكلات معينة تحيط بالموقف و التأثير السلبي أكثر ما يكون على الأطفال .

رابعاً : ما يرتبط بالمسئولية عن تيتيم الأطفال فى تطبيق قانون الرؤية :

***يلقي معظم غير الحاضنين مسئولية تيتيم الأطفال على تحديد قانون الرؤية لفترة الرؤية بثلاث ساعات أسبوعياً حيث يقرون بأنها فترة قليلة للغاية، ربما لا ينتبهون إلى أن النص القانوني يحدد " ألا تقل مدة الرؤية عن ثلاث ساعات أسبوعياُ " أى من الممكن أن تزيد ، ولكن معظم دعاوى الرؤية يطلب فيها غير الحاضن الحق فى رؤية صغيره مرة واحدة أسبوعياً لمدة ثلاث ساعات .**

***يلقي غير الحاضنين مسئولية تيتيم أطفالهم منهم على:**

الحاضنات اللاتي يزرعن مشاعر الكره فى نفسية الأطفال ضد والدهم أسرة الحاضنة والعصبية القبلية والتعالي على غير الحاضن .

***على عدم وجود نظام الاستضافة فى قانون الرؤية .**

*** على غير الحاضن بسبب سفر البعض للعمل خارج مصر ، وتقصير البعض الآخر متعللاً ببعد المسافات بين إقامة الطرفين.**

إذن مسئولية تيتيم الأطفال من الطرف غير الحاضن تقع على أكثر من طرف أولهم على الحاضنة وأسرتها ، ثم على بعض الثغرات فى قانون الرؤية ، ثم على غير الحاضن وأيضاً على طبيعة المكان الذى ينفذ فيه الحكم .

إنه من الأهمية بمكان مراعاة التي في هذا الموضوع المهم بالنسبة للأسرة :

***إن مشكلة الحضانة وحق الرؤية للأبناء هى مشكلة لاحقة لمشكلة سابقة عليها هي الإنفصال أوالطلاق بين الوالدين ، فلابد أن نحد من وقوع تلك المشكلة فى المجتمع وذلك منذ بداية تربية الأبناء بأن يكون الوالدين قدوة لهم يمثلون الأسرة المتحابة المترابطة وأن يتم حل المشكلات الأسرية بعيداً عن مسمع ومرئى الأطفال .**

***للأبناء حقوق فى الإسلام فعلى الزوجين إذا أقدما علي الطلاق أن يلتزما بها حتى نحافظ على الأبناء من التيتيم رغم وجود والديهم على قيد الحياة .**

***ضرورة أن تكشف مكاتب فض النزاع الأسري فى محاكم الأسرة جهودها لحل الخلافات الزوجية قبل أن تصل إلى مرحلة الطلاق فمن الملاحظ أنه رغم استحداث دور هذه المكاتب إلا أن إشهارات الطلاق مازالت فى زيادة ، وإذا ما وقع الطلاق فلابد أن تأخذ على عاتقها مسئولية تثقيف الطرفين عن حقوق كل منهما وحقوق الأبناء وكيف يمكنهم اجتياز تلك المرحلة العصيبة بأقل الخسائر لهما ولأبنائهما .**

*** من الأفضل بالنسبة للأطفال أن يتحول قانون الرؤية إلى قانون للرعاية المشتركة بين الطرفين ليشعر الأبناء أنهم يعيشون فى أسر شبه متكاملة ولا يشعرون أنهم مختلفون عن باقي زملائهم ويشعرون بالدونية ، ففي الفترة الأولى من عمر الطفل يعيش فى حضانة أمه وفي نفس الوقت يعطي القانون للوالد حق رعاية ابنه ورؤيته بصفة مستمرة غير محددة بثلاث ساعات أسبوعياً ولكنه يقضي معه عطلة نهاية الأسبوع مثلا وجزء من إجازات الأعياد وعطلة نصف العام ونهاية العام ويندمج مع أسرة الطرف الآخر وهكذا ، وعندما تنتهي تلك الفترة من الحضانة للأم وتنتقل للأب تكون للأم نفس الحقوق ، ربما يأتي ذلك بثمار طيبة إذا ما كف الطرفان عن إدخال الأبناء فى الصراع القائم بينهما لأنه من المفترض أنه انتهى بالإنفصال ولم يتبق إلا مصلحة الأبناء .**

الفصل السابع : الطلاق والبناء الداخلي للأسرة

لقد نالت العلاقة الزوجية حظاً وافراً من الاهتمام في الشريعة الإسلامية فجاءت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية موضحة أحكامها داعية إلى الحفاظ عليها من أجل الأسرة التي تعد الدعامة الأساسية في بناء المجتمع، ومن هذا المنطلق عنيت الشريعة الإسلامية بتوضيح الأصول الحاكمة لروابط البناء الأسري وحقوق الزوجين وواجباتهما، وكما شرع الله الزواج ودعا إليه أوضح المنهج الذي يسير عليه كلا الطرفين إذا وقعت المشكلات واستحالت العشرة فقد تتغير النفوس والأمزجة وتتغير ظروف المجتمع وأحواله وتنشب الخلافات وتتصاعد بين طرفي بناء الأسرة فيكون الحل الذي شرعه الله سبحانه وتعالى في الطلاق .

وربما كان أصعب الحلول هو أبغض الحلال عند الله ورسوله ولكنه أحياناً ما يكون أفضلها بدلاً من الاستمرار في معيشة تسودها الكراهية بين الزوجين ، ولكن يجب أن تكون محاولة الإصلاح أَولى بكل حيلة حتى لا ينفرط عقد الأسرة لا سيما عند وجود أولاد يشقون من هذا الانفصال ، وقد جاء في فتاوى ابن تيمية " إن الأصل في الطلاق الحظر وإنما أبيح منه قدر الحاجة .

ومن الملاحظ الآن أن معدلات الطلاق مازالت عالية بما ينتج عنها من مشكلات اجتماعية وآثار سلبية تنعكس على كل أطراف البناء الداخلي للأسرة ، بل على المجتمع كله ولعل الأبناء هم الأكثر تضرراً من جراء هذه المشكلة ، إذ يتضررون نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وعاطفياً ودراسياً أو يصل بهم الأمر إلى الإدمان والانحراف مكونين بذلك مشكلات جديدة في المجتمع ، ولكن على الرغم من كل المساوئ الناتجة عن الطلاق ، فإنها أحياناً ما تكون أقل ضرراً من تحمل مشكلات الزواج الفاشل والحياة التعسة.

أهمية دراسة مشكلة الطلاق كمشكلة من المشكلات التي تواجه الأسرة :

إن مشكلة هذه الدراسة تتبلور فى سؤال مؤداه : ما مدى تأثير الطلاق على البناء الداخلى للأسرة أى على كل فرد من أفراد الأسرة ؟ حيث إن معدلات الطلاق على المستوى المحلى وعلى المستوى القومى " لجمهورية مصر العربية " وعلى المستوى العالمى أيضاً ما تزال عالية بما يدعو إلى أهمية دراستها لما لهذه المشكلة من تأثير على حياة الأفراد واستقرار المجتمع حيث إنه موضوع شديد الحساسية نظراً لاتصاله بأدق العلاقات الإنسانية التى تربط بين الرجل والمرأة من ناحية وهما وأولادهما من ناحية أخرى ، كما تكمن أهميته فى معرفة الأسباب المتغيرة التى تنحو بالأسرة إلى التفكك بالطلاق ، وما استحدث بفعل التطور وتغير أوضاع وأدوار الأفراد المكونين للبناء الداخلى للأسرة وكان سبباً فى وجود الصراع بين الطرفين الأساسيين فى الأسرة .

وما يؤكد أهمية دراسة تلك المشكلة أن إشهارات الطلاق فى زيادة مستمرة فعلى سبيل المثال في محافظة سوهاج سنة 2000 كانت 1969 حالة بمعدل 0.57 فى الألف زادت سنة 2001 إلى 2450 حالة بمعدل 0.69 فى الألف.

وعلى مستوى الجمهورية سنة 2000 كانت 68991 حالة بمعدل 1.1 فى الألف ووصلت سنة 2001 إلى 70279 بنفس المعدل السابق .

أما سنة 2002 فكان هناك ثبات نسبى فى المعدلات فكان المعدل على مستوى الجمهورية 1.1 فى الألف بعدد حالات 70069 وفى سوهاج كان المعدل 0.66 فى الألف بعدد حالات 2397 " الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ،2002)

إذن فنحن نعتبر أن مشكلة الطلاق ما تزال تحتفظ بمعدلات عالية داخل المجتمع جديرة بدراسة تأثيراتها على أطراف الأسرة ، والدراسة الراهنة إذ تهتم بتلك المشكلة لمعرفة

تأثيرها على جميع أطراف البناء الأسرى حيث إن معظم الدراسات كان اهتمامها بتأثير الطلاق على الأطفال فقط مثل دراسات " بولبى " ، "بيلر"، "شيلدون جلوك "،"جودس و الرستين" ، " جون كيلى" وغيرهم ، أيضاً تكمن أهمية الدراسة فى الخروج منها بالعديد من المقترحات القابلة للتطبيق والتى تفيد الأسرة فى المحافظة على تماسكها ضد الانهيار وحفاظ الآباء على أبنائهم من الوقوع فى براثن هذه المشكلة مستقبلياً .

بالإضافة إلى هذه الأهمية التطبيقية فإن الأهمية العلمية للمشكلة تكمن فى أن العلاقة بين الرجل والمرأة وتكوين الأسرة أو تقويضها ينال اهتمام رجال الدين والمفكرين وعلماء الاجتماع وعلم النفس كل يحاول من جانبه أن يقدم ما يخدم هذه العلاقة فى حالة استمرارها ونجاح الحياة أو استحالة استمرارها والانسحاب منها ، وهنا تحاول الدراسة مشاركة هذا الجمع فى تحديد أسباب تلك المشكلة وآثارها السلبية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن انهيار البناء الداخلى للأسرة.

بعض المفاهيم المهمة المرتبطة بالموضوع :

رغم أن هذه الدراسة تتعلق بالطلاق إلا أننا لابد أن نعرف بداية مفهوم الزواج لاتصاله بمفهوم الطلاق .

الزواج : عقد مدني بين رجل و امرأة غايته إنشاء أسرة صحيحة البناء وسعيدة ، وبما أن الزواج عبارة عن عقد فهو إذن قابل للنقض شأنه شأن أي تعاقد بين المتعاقدين ونقض الزواج بالطلاق .

الطلاق : الطلاق لغة رفع الوثاق مطلقاً ، وشرعاً رفع قيد الزواج بلفظ مخصوص ، والمراد باللفظ المخصوص ما كان لفظاً صريحاً في الطلاق كلفظ الطلاق والتطليق وما يشتق منهما (Rodgey, 1992.389) ، كما يعني الطلاق انتهاء الحياة الزوجية ، ولكن لا يعني ذلك بالضرورة انتهاء الأسرة لأن ثلثي حالات الطلاق تتم بين أزواج لديهم أطفال حيث يهجر أحد الوالدين الأسرة وفي الغالب يكون الأب ولكن الأسرة تظل وتستمر .

المفهوم الإجرائي للطلاق : **انفصال كل من الزوجين عن الآخر انفصالاً شرعياً تاماً بسبب فشلهما فى تبادل الحقوق والواجبات مما أسفر عنه استمرار الصدام والصراع بينهما إلى درجة تستحيل معها دوام العشرة الزوجية وما يترتب على هذا الانفصال من مشكلات اجتماعية ونفسية واقتصادية على المطلق والمطلقة وأبنائهما .**

التعريف الإجرائي للبناء الداخلي للأسرة **: المقصود به الأفراد المكونين للأسرة من زوج وزوجة وأبنائهم المباشرين وما يقوم بينهم من علاقات داخلية ودودة وحميمية مميزة لبناء الأسرة .**

والجدير بالذكر أن تلك العلاقات الداخلية الأسرية ليست استاتيكية جامدة ولكنها تتميز بالديناميكية طبقاً للمواقف التي تمر بها الأسرة في مراحلها الحياتية المختلفة .

ومن المعروف أن أبنية الزوجين الشخصية لها أهمية خاصة حيث إنهما العنصران الرئيسيان للأسرة فإن انسجامهما وتكيفهما ونضج سلوكهما له دور في الحفاظ على الرفاهة العاطفية للمجموعة كلها ، فالعلاقات الحميمية بين الأفراد المكونين للبناء الداخلي للأسرة قد تحول دون تطور الضغط إلى أزمة ، وقد تؤدي المحنة إلى تدعيم بناء الأسرة على المدى البعيد في وجود علاقات داخلية مستقرة ومترابطة ، على الرغم من أن آثارها المؤقتة قد تبدو ضارة (أحمد ،338،1992) ، وعندما تتحطم أنظمة الحياة الأسرية تحت الضغوط والمشكلات المختلفة يعنى ذلك أنه حان الوقت للتفكك وعدم قدرة العنصرين المؤسسين لها على أداء أدوارهما بطريقة فعالة طبقاً لتوقعات الآخر والمجتمع ، وهنا يحدث الانهيار لهذا البناء أى تحطمه وتفككه .

الطلاق : تحليل سوسيولوجي :

يعتقد كثير من الناس أن الطلاق هو الدليل الوحيد على تصدع الأسرة أو انهيار مقوماتها بينما في الواقع يعتبر الطلاق مجرد دليل واحد بين دلائل متعددة ، ولكنه بالتأكيد يمثل الدليل النهائي .

من الذين ينتشر بينهم الطلاق ؟

تزداد فرص الطلاق إذا كان الزوجين من عقائد وملل مختلفة ، أو من طبقات متباينة وكلما كان سن الزواج أقل زادت نسبة الطلاق (Coleman Cressy ,1992,134 &,) فيتضاعف الطلاق بين زواج المراهقين حيث تنتهي حالات زواج من هم في سن العشرين أو أقل قليلاً بالطلاق (Browne ,1993,236)وبهذا الصدد أفادت الإحصاءات في سنغافورة أن الأزواج الشبان هم أسرع من ينهون علاقاتهم حيث تبلغ نسبة الطلاق أعلاها في الفئة العمرية من (20 : 24 سنة) . كما أن تغير الزمن يؤثر في نسب الطلاق حيث إن الأشخاص الذين يتزوجون هذا العام مثلاً أكثر تعرضاً للطلاق ممن تزوجوا من عشر سنوات فأكثر حيث تختلف اتجاهات الزوجين وتوقعاتهم عن الحياة الزوجية ، كذلك القيم المتغيرة التي تجعل الطلاق مسألة أسهل من ذي قبل وتقبل المجتمع لها يكون أكثر من الماضي.

ومن جهة أخرى نجد أنه خلال القرن التاسع عشر كان الطلاق منتشراً بين الأغنياء فقط في بريطانيا والولايات المتحدة أما الفقراء فلم يكن لديهم النفوذ أو المال لمجابهة متطلبات الطلاق ، لكنه الآن أصبح منتشراً بين الفقراء والأغنياء على حد سواء وربما كان ذلك بسبب تسهيل القوانين المرتبطة بالطلاق لتلك العملية بعد أن كان الحصول على الطلاق يمثل صعوبة بالغة لمن يطلبه نظراً لتحريمه سابقاً تبعاً للعقائد المنتشرة في البلاد.

نجد أيضاً أن الطلاق يقل بين من يتمتعون بارتفاع الدخل والمستوى التعليمي ، وبالرغم من أن الدراسات المختلفة تثبت تقلص نسب الطلاق كلما زاد الدخل ومستوى التعليم إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر نسبة الطلاق بها من أعلى النسب تقريباً رغم ارتفاع تلك المستويات فيها وربما كان السبب الرئيسي هو افتقادهم إلى قيم المحافظة على كيان الأسرة التي تتمسك بها المجتمعات الإسلامية ، أيضاً هذه المجتمعات الغربية تحكمها الماديات ويسودها الصراع والإباحية الزائدة عن الحد.

أسباب الطلاق :

من المعروف أن الطلاق يحدث بين طرفي البناء الأسري بعد استمرار الصراع والصدام بينهما لأسباب اجتماعية و نفسية و اقتصادية معينة تتركز في :-

* جهل كثير من الأزواج والزوجات بالحقوق الشرعية التي أوجبها الإسلام لكل منهما .

* بُعد الأزواج عن زوجاتهم حتى لو كانوا قريبين ويمثل ذلك بعداً عاطفياً مهما.

* الزواج المبكر وعدم النضج الفكري و الاجتماعي لكلا الزوجين ، الأمر الذي يعجزهما عن معالجة مشكلاتهما فيقدمان على الصدام وإنهاء رباطهما دون تردد .

* التباين العام في الخلفية الاجتماعية للشريكين يعكس الاختلاف في تربية كلٍ منهما وانحدارهما الطبقي ، كذا اختلاف أمزجتهما وطموحهما المستقبلي وتعارض نظرة كلٍ منهما للحياة

ومن أسباب الطلاق أيضاً الظروف الخاصة بزوج معين ، كأن يكون للزوج زوجة أخرى أو أبناء من زوجة أخرى أو أن الزوجة تكون مطلقة سابقاً ، وغيرها، وذلك ما يجعل هناك حساسية في التعامل بين الطرفين ، أيضاً تكرار الطلاق في أسرة الزوج أو الزوجة يجعل هناك احتمالاً كبيراً في وقوع الأبناء في تلك المشكلة.

وليس معنى ذلك أن الطلاق مرض وراثي ولكن التنشئة الاجتماعية الأولية وحياة الأبناء

في سنواتهم الأولى بخبراتها التي تُنقَش على ذاكرتهم تؤثر في اتجاهاتهم ، وبالتالى فإن المشكلات التي عاصروها في سنوات طفولتهم وشبابهم مع والديهم تؤثر سلباً على استقرارهم النفسي والاجتماعي ، وتجعلهم يتصرفون بناء على صفات مكتسبة من الوالدين و بالتالى الوقوع في نفس الخطأ.(المهدي، 45،2007)

وقد تدخل العامل الاقتصادي وأصبح ضمن أسباب الطلاق في صورة مجادلات بين الزوج والزوجة على دخل الزوجة بعد خروجها إلى سوق العمل واستقلالها الاقتصادي ، ولقد صرح 61 % من النساء في دراسة عن رأي النساء متوسطي العمر في الطلاق ، أن الطلاق دائماً ما يكون الحل الأمثل عندما لا يستطيع الزوجان حل مشكلاتهم، وهذا الاتجاه يعكس أنماط التغيير في اتجاهات النساء عن الحياة الزوجية . (Brinker hoff,1988.342)

ومع التحديث والتقدم وتغير ظروف الحياة ظهرت مشكلة صعوبة التفاهم بين الزوجين والتي تعتبر من مسببات الطلاق ، وهذه المشكلة تظهر نتيجة للعناد والإصرار على الرأي والنزعة التنافسية وحب السيطرة والاندفاعية والتسرع في اتخاذ القرارات وردود الفعل العصبية، حيث أصبح الإنسان سريع الغضب نتيجة لقسوة الحياة بمتطلباتها وذلك ما يعبر عنه بشكل مباشر عن طريق السُباب والعنف أو بشكل غير مباشر من خلال السلبية وعدم المشاركة ، كل ذلك يساهم في صعوبة التفاهم وحل المشكلات فيبتعد كلٍ من الطرفين عن الآخر بعواطفه وأفكاره وتتولد فجوة عميقة بينهما تنتهي غالباً بالانفصال .

الدور المتوقع لكل من الزوجين في البناء الأسري وأثره على عملية الطلاق:

بعد الزواج ينتظر المجتمع من الرجل أن يكون هو المُسيطر في الأسرة وربما كانت الخلفية الأسرية للرجل من خلال أسلوب التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة هى التي تحدد مدى قبول الرجل واقتناعه بتلك الفكرة التي تجعله وحده مسيطراً ، آمراً ناهياً في الأسرة دون ترك

فرصة للزوجة للمشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية الداخلية ، وربما يتوافق ذلك الفكر مع فكر المرأة والدور المتوقع لها كمربية للأطفال وربة منزل تقليدية، ولكن غالباً وتمشياً مع العصر الحديث وزيادة مطالبة المرأة بحقوقها ومعرفتها إياها ومشاركتها للرجل في اقتصاديات الأسرة فإنها ترفض ذلك الاتجاه وتكون فكرتها عن الزواج وتكوين أسرة مخالفة لفكر الزوج وأحياناً المجتمع ، وهنا تقع المشكلات نتيجة لمطالبة المرأة بتغيير الرجل اتجاهاته ، وإصرار بعض الرجال الإبقاء على أفكارهم ، فإذا لم يستطع الطرفان التلاقي وسط هذا الطريق المفعم بالأفكار المتناقضة يقع المحظور بالطلاق بينهما .

معدلات الطلاق :

إن معدلات الطلاق تعتبر في زيادة مطردة في معظم البلدان تقريباً ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية كانت هناك حالة طلاق من كل سبع حالات زواج سنة 1920 وبعدها سنة 1970 كانت هناك حالة طلاق من كل ثلاث حالات زواج وفي التسعينيات حالة من كل حالتين حيث يعتبر في أعلى معدلاته(Coleman,1992.154) وفي مصر ما زالت المعدلات مرتفعة " كما ذُكِرت فى أهمية الدراسة " ، رغم أن الدين الاسلامى مع إباحته للطلاق جعله آخر حل للمشكلات إذا ما استحالت العشرة ، كما جعله أبغض الحلال .

وإذا حاولنا معرفة السبب الرئيسى في هذا الارتفاع المطرد في معدلات الطلاق عالمياً نجد أن هناك عدة أسباب مثل تقلص أهمية الزواج وتكوين الأسرة وذلك في المجتمعات الأوروبية غير الإسلامية ، أيضاً التغييرات الحادثة في القوانين الشرعية والحياة الاجتماعية والمادية . فخلال الثمانين عاماً الماضية أصبحت قوانين الطلاق أقل تحفظاً عن ذي قبل ، والغرض من تلك التشريعات هو الحفاظ على كيان الأسرة من خلال السماح للأزواج الذين لا يطيقون احتمال الاستمرار في حياة زوجية من فض عقد القران أي أن إجراءات الطلاق أصبحت أسهل وأرخص وأكثر إنصافاً للمرأة من ذي قبل .

فقد كان قانون الإجراءات الزوجية فى الولايات المتحدة سنة 1857 يعطي للرجال

حقوقاً أكثر من النساء إذا ما تم الطلاق وبعد تغييره إلى القانون 1923 أعطى للنساء حقوقاً متساوية مع الرجال بعد الطلاق ثم جاء قانون 1969 ليجعل الانهيار في الزواج قاعدة تؤدي إلى الطلاق بعد أن كان لا بد أن يثبت من يطلب الطلاق على شريكه جريمة الزنا أو الهجر، أيضاً سمح قانون الإجراءات الزوجية والعائلية لسنة 1984 للزوجين بالطلاق بعد عام واحد من الزواج بينما كان من قبل لا يمكن التفكير في الطلاق إلا بعد ثلاث أعوام من الزواج ، وهذا أدى بدوره إلى زيادة معدلات الطلاق (Browne, 1993.238) ، هذه التغييرات في تشريعات الغرب جاءت بعد أن غط المجتمع الغربي في الانحرافات نتيجة تحريم الطلاق في الماضي . وفي مصر أيضاً حدثت تعديلات على قانون الأحوال الشخصية من شأنها زيادة المحافظة على حقوق المرأة وتخفيض الفترة التي تستغرقها قضايا الطلاق أمام المحاكم للحصول عليها وذلك حفاظاً على كرامة المرأة ووقتها وحفاظاً على الأبناء في الأسر المنفصلة ، وقد زادت أيضاً معدلات الطلاق في تلك الآونة بسبب التغيرات الاجتماعية الحادثة في المجتمع المصرى و التى من أهمها تغير دور المرأة وتوقعاتها بحياة زوجية سعيدة غير تقليدية ، كذا زيادة تعاطي المخدرات التى تتسبب في كثرة المشكلات بين الزوجين .

وقد انتشرت ظاهرة غريبة مؤخراً في دول الغرب المتقدمة من شأنها زيادة معدلات الطلاق وهى أن يتم الطلاق عبر شبكة الإنترنت وبذلك ازداد الإقبال على خدمات الطلاق في الولايات المتحدة عبر الشبكة بأقل التكاليف حيث بدأت المحاكم ورجال القانون يشجعون عمليات الانفصال عبر المواقع العنكبوتية وهناك شركات متخصصة ومتنافسة في هذا المجال قدمت خدمات لحوالي عشرين ألف عميل في الولايات المتحدة وما حولها خلال ثلاث سنوات وهذا ما يزعج القيادات الدينية " (arabic.cnn.com/2002) حيث أصبح الطلاق هكذا في متناول الجميع .

والجدير بالذكر أن معدلات الطلاق تختلف من مجتمع لآخر لاختلاف القيم و العادات الاجتماعية واختلاف الثقافة والدين وخصائص المجتمع وتنوع طبقاته ، بالإضافة إلى اختلاف

المعدلات بين المجتمعات المتقدمة والأخرى النامية ، أيضا تختلف المعدلات من المجتمع الريفي عن الحضري بزيادة ملحوظة في الحضر عن الريف حيث توضح الإحصائيات الرسمية في مصر سنة 1996 أنها 8.64 في الألف في الحضر بينما في الريف 7.05 في الألف (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء) وربما يرجع ذلك إلى أنماط الحياة والمعيشة في الريف المختلفة عن الحضر، كذلك تمسك أهل الريف بقيم معينة لا يجد الحضريون حرجاً من التخلص منها ، على الرغم من ذلك هناك ملحوظة هامة وهي أن الإحصائيات الرسمية الخاصة بمحافظة سوهاج سنة 1996جاء فيها معدل الطلاق في الريف 8.05 في الألف بينما هي في الحضر 5.64 في الألف(الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء) أي النسبة في الريف أكبر من الحضر وربما يرجع ذلك إلى أنه من القيم الموروثة في صعيد مصر حظر زواج المطلقات مرة أخرى بينما المطلقة في الحضر تتزوج ثانية بدون قيود .

ولعل زيادة عدد قضايا الطلاق المطروحة أمام المحاكم فى سوهاج من النساء توضح مدى تأثير الصحوة النسائية جهة حقوقهن القانونية والحياتية المختلفة مما يثير تزمرهن إذا وجدن ما يكدر عليهن صفاء الحياة الأسرية وقد كانت هذه القضايا فى محافظة سوهاج عام 2002 (306) قضية زادت زيادة كبيرة جداً عام 2003 لتصبح (506) قضية (سجلات مجمع محاكم سوهاج)

ومن الممكن القول أن ارتفاع معدلات الطلاق قد لا يشير لدى البعض إلى تبرم حاد بالعلاقة الزوجية أو بالأسرة بل يشير إلى إصرار متزايد على جعل تلك العلاقات الزوجية والأسرية أكثر إشباعاً وإرضاءً ، ولكن إذا فشل فى تحقيق هذا الهدف تعرضت الأسرة لمشكلة الطلاق.

تأثير الطلاق على البناء الداخلى للأسرة :

بالتأكيد أن من حق الأبناء أن ينشأوا في أسرة متماسكة ، إلا أنه قد يكون طلاق والديهم أفضل بالنسبة لهم إذا ما وصلت العلاقة بينهم إلى زيادة الشجار و النزاع والهجر وما إلى ذلك مما يعطى الأبناء إحساساً بالحيرة والتمزق ويضعهم في حالة توتر تدمر نفسياتهم وتعطيهم صورة سلبية عن الحياة والزواج والجنس الآخر ، فإذا ما استحالت الحياة فلا بد أن تكون النهاية كما جاء في القرآن الكريم [فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ] [سورة البقرة آية 229] حفاظاً على نفسية الأبناء وحسم الأمر بين زوجين استحالت عشرتهما .

وسوف نتناول التأثير السلبي للطلاق على كل طرف من أطراف البناء على حدة فيما يلي :-

تأثير الطلاق على المُطَلق :

معظم الأزواج الذين تم طلاقهم يعبرون عن أنه توقف إمدادهم بالعاطفة والحب بمجرد فض علاقتهم الزوجية ، بل تصبح أفكار المطلق متذبذبة ومشوشة ، يشعر بالوحدة والاغتراب ، كما نجد أن المجتمع دائماً ما يحترم الشخص المتزوج في حين يتخوف من المطلق ، وهنا يشعر المطلق بشيء من المهانة ، بالإضافة إلى ما يتكبده المطلق من تكلفة مادية ، كما يفقد الأب غالباً علاقته بأبنائه بعد الطلاق .

تأثير الطلاق على المُطَلقة :

وإذا كنا قد أوضحنا التأثير السلبي الكبير للطلاق على الرجل فإن التأثير الأشد قسوة يكون على المرأة ، وإذا ما كانت المرأة عادة لا تدفع في الطلاق مالاً إلا أنها تخسر من حياتها ومستقبلها أكثر مما يخسر الرجل فغالباً ماتفقد المطلقة احترام المجتمع لها وتفقد أيضاً إحساسها بالاستقرار الأسرى ، كما أن كثيراً ممن يحيطون بها تجدهم يشعرون بالخوف من تعاملهم معها أو دعوتها إلى بيوتهم حيث إن المجتمع يعتبرها مصدر خطر عليه لهدمها البناء الداخلي لأسرتها وهو النظام الذي يقدسه المجتمع في العادة ويبنى عليه أمنه واستقراره.

ومن التأثيرات السلبية للطلاق على المرأة أيضاً أن نظرتها لذاتها تصبح غير إيجابية فلا تتوحد معها بل يحدث انفصام بين الذات الفردية والأنا الاجتماعية عندها.

كما أن عدم أحقية المرأة في منزل الزوجية إذا لم تكن حاضنة وتعرضها للفقر ما لم تكن عاملة يعتبر من سلبيات الطلاق التي تتعرض لها، وغالباً ما تظل المرأة المطلقة بلا زواج أو تلجأ للزواج العرفي أو قبول الزواج مجبرة بناء على ضغط الأهل من شخص غير ملائم ، كما أن الأمهات المطلقات اللائى لديهن أبناء ذكور في سن المراهقة ويعيشون معهن يجدن أنفسهن في موقف أكثر صعوبة في محاولة فرض سلطتهن عليهم لاحتياج الأبناء الذكور في تلك المرحلة للأب بسيطرته وحنانه ، كما أن المطلقة تشعر بالمرارة من افتقادها لأبنائها إذا لم تكن حاضنة . وأخيراً ليس من السهل عليها أن تنجح في تكوين بناء أسرى جديد مستقر داخل مجتمع ينظر إليها نظرة المخطئة في حق نفسها وأسرتها ومجتمعها .

<u>آثار الطلاق المشتركة بين المطلق والمطلقة :</u>

وجد الباحثون أن الأمهات والآباء المطلقين أكثر اضطراباً من هؤلاء أصحاب الأسر المتماسكة ، ويعانى المطلقون معاناة كبيرة في السنتين الأولتين من الطلاق حيث إنهما لا يقدران على التواصل الجيد مع أطفالهما فيكونان أقل حناناً معهم من أصحاب الأسر المتماسكة فضلاً عن تغير الوضع الاقتصادي والاجتماعي للطرفين كل حسب ظروفه وظروف طلاقه . كما تظهر آثار التجربة الفاشلة على شكل انكسارات نفسية وأحياناً ندم ونزوع للانتقام بالإضافة إلى المعاناة في متابعة الإجراءات الروتينية للطلاق بين المحاكم والمحامين التي غالباً ما تأخذ فترة زمنية طويلة فتجعل حياة الاثنين غاية في الاضطراب .

الآثار السلبية للطلاق على الأبناء :

إن الوالدين يعتبران هما الأعمدة الأساسية في بناء الأسرة وإذا انهار أحد هذه الأعمدة تقوض البناء الأسرى كله ، فمن خلال أنماط التفاعل الاجتماعي التى تحدث بينهما تتشكل علاقات الأبناء وتفاعلاتهم فهى المؤثر الأساسي في النمو الانفعالي والعاطفي للأبناء وفي البناء السليم للشخصية، حيث أثبتت إحدى الدراسات أن الصراع الزواجي يتلف علاقة الطفل بوالديه ويضعف تأثير الأبوين على الأطفال ويؤثر بصفة غير مباشرة على تنمية الطفل ، وعندما تزيد حدة الصراع لدرجة العنف فإن التأثير السلبي على الأطفال يكون مستمراً وبشكل أقوى (Fritz,2000) ، وبعد أن يحدث الطلاق بعد ذلك الصراع والعنف فغالباً ما تثار مشكلات حول حضانة الأطفال ومن أحق بحضانتهم ومشكلات الإنفاق عليهم ومستحقات كل من الطرفين ، وما إلى ذلك من المشكلات التي لا ينجح الآباء في حجبها عن مسامع الصغار والتى تحدث قلقاً نفسياً داخل نفوسهم الصغيرة ، فضلاً عن شعور الأبناء بعدم الأمان نتيجة التفريق بين الأخوة فمن تم منهم السن القانونية لحضانة الأب ينتقل إليه ومن هم دون ذلك يبقون في حضانة الأم ، فانتقال الابن إلى مكان إقامة آخر تبعاً لأحقية حضانته قد يؤدى إلى تغيير المدرسة والأصدقاء والعلاقات الاجتماعية مما يخلق عوائق تمنع تكيفه مع المواقف الجديدة ، ويؤدى به إلى عدم الشعور بالأمان ، وبالتالى الشعور بالخوف . أيضاً انفصاله عن إخوته قد يشعر بعضهم أن هناك تمييزاً في المعاملة وأن أحد الوالدين يفضل أحد الأبناء عن الآخرين نتيجة لصغر سنه وقلة خبراته وغيرها ، فالطلاق إذن يشرد الأبناء بين الأب والأم ويجعل الطفل تائهاً بينهما فيشعر أنه ليس كغيره من أنداده الذين ينعمون بحياة أسرية مستقرة . وإذا ما كان الأب والأم المنفصلان شديدي الكراهية لبعضهما ولم يراعيا مشاعر الصغار يلجأ كلٍ منهما إلى بث الكره في نفوس الصغار جهة الطرف الآخر إمعاناً في الكيد له وهذا ما يدمر نفوسهم البريئة .

إن الحرمان الوالدي له آثار سيئة على نمو الصغار الجسمي والعقلي والاجتماعي والنفسي ففي دارسة لـ {بولبى } ذكر نتيجة الحرمان الأمومى على الطفل أنه يؤدى إلى

انخفاض ذكائه وتحصيله المدرسي وقدرته على إقامة علاقات مع الآخرين .

وفي دراسة لـ { بيلر } عن أثر غياب الأب ظهر أن وجود الأب في الأسرة يؤدي إلى اكتساب الابن السلوك الذكري بدرجة واضحة ، فالطفل قد يصبح سلوكه مائلاً إلى السلوك الأنثوى أو سلوكاً ذكرياً بشكل متطرف ، وعلى جانب آخر أثبتت دراسة لـ { جون سانتروك} أن الأبناء فاقدي الأب بالطلاق أكثر عدوانية من الذين فقدوه بالموت .(اسماعيل،65،19955) .

إن فقدان الأب فى الأسرة يعنى فقدان الأبناء للقدوة التي يمكن أن يحتذوا بها ، لذا يكون الشعور بعدم الاستقرار الأمني في حالة فقده وإمكانية التعرض للانحراف

.

وفي دراسة لـ { شلدون واليانورجلوبك } أثبتا فيها أن وقوع الجناح أكثر احتمالاً بين الأطفال الذين انحدروا من أسر تعرضت للطلاق (شكري،247،1981)

لذ فإننا نقول أن الإبن فى الزواج التعس المنتهى قد يتحول إلى نقمة على الوالدين وعلى نفسه.

وبازدياد حالات الطلاق يزداد عدد الأبناء للآباء المطلقين الذين لا يجدون رعاية والدية متكافئة مع أمثالهم فى الأسر المستقرة مما يجعلهم ناقمين على حياتهم ، مرضى المشاعر إلى درجة أنه يمكن أن نطلق عليهم مطلقين المستقبل ، وثمة حقيقة مهمة فى هذا السياق مفادها أنه كلما كان الأطفال فى عمر متقدم زاد تأثرهم بطلاق والديهم نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وصحياً لأن إدراكهم يكون أكثر نضجاً وتفاعلهم مع والديهم وارتباطهم بهم يزداد كلما تقدمت أعمارهم .

المراجع باللغة العربية:

-صالح، احمد زكى (1992): علم النفس التربوي ، القاهرة .النهضة العربية ، ط١٤

- إسماعيل أحمد محمد(1995) ، : مشكلات الطفل السلوكية معاملة الوالدين ، مكتبة الإسكندرية ، دار الفكر العربي

- جدينز ،أنتوني (2002) : مقدمة نقدية في علم الاجتماع ، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، ترجمة / أحمد زايد وآخرين.

-زايتلن ،ارفينج (1995) : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع " دراسة نقدية"، الاسكندرية ، دار المعرفة،، ١٩٩٣ . ترجمة / محمود عودة .

- شتا، السيد على (1980): البناء الثقافي للمجتمع ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، مج ١٧ ، ٤ ٢ ٣ ، ١٩٨٠ 13

- الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، إحصاءات الزواج والطلاق تعداد ١٩٩٦-1995-2003

-السجلات الرسمية لمجمع المحاكم بسوهاج .

- رشوان،حسين عبد الحميد (2002): القانون والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع القانوني " ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث

-زهران، حامد (1977) : علم نفس النمو " الطفولة والمراهقة " عالم الكتب ، ط4 ،

-الخـولي ، حسـن وآخـرون (1991): دراسـات فـي علـم الاجتمـاع العـائلي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية

* الجميلـي، خيـرى خليـل (1993) : الاتجاهـات المعاصـرة فـي دراسـة الأسـرة والطفولة ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ،

-ماكيلان، ديفيد (1980): مجتمع الإنجاز " الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية " ، القاهرة ، مكتبية نهضة الشرق ترجمة / عبد الهادي الجوهري ، محمد فرح .

- جـابر، سـامية محمـد ، حسـن محمـد (2003): علـم اجتمـاع القـانون ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،

-الخشـاب، سـامية مصـطفى (1993) : النظريـة الاجتماعيـة و دراسـة الأسـرة ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٣

- السيد ،سميرة أحمد (1993) علم اجتماع التربية ، القاهرة ، دار الفكر العربي.

- المهدي، سلوى محمد (1998): التحضر والتنشئة الاجتماعية للطفل من قبل المراة، رسالة دكتوراة غير منشورة آداب قنا ،جامعة جنوب الوادي.

- المهدي، سلوى محمد(2009) المسئولية الاجتماعية نحو تيتيم الاطفال ضحية الطلاق "دراسة سوسيواقتصادية لأبعاد تطبيق قانون الرؤية" المؤتمر الدولي الثاني للطفولة العربية " العولمة والمحافظة على الهوية" ،جامعة جنوب الوادي، الغردقة.

- المهدي، سلوى محمد (2001) الطلاق والبناء الداخلي للأسرة، مجلة كلية الآداب بقنا ،ع11،جامعة جنوب الوادي.

-شكري،علياء(1981) : الاتجاهات الحديثة في دراسة الأسرة، القاهرة ، ودار المعارف ،ط2

- عمر، معن خليل (2000) : علم اجتماع الأسرة ، الأردن ، دارالشروق

- لامبرت، وليام (1993) : علم النفس الإجتماعي ، القاهرة، دار الشروق ،ط ٢، ترجمة اسلوى الملا

*اتفاقية حقوق الطفل والبروتوكولين الإضافيين : السودان ، منظمة الأمم المتحدة للطفولة ، د. ت ،

* عبدالغني ، سحر (2007) : الأطفال وتعاطي المخدرات ، الإسكندرية ، المكتبة المصرية .

- الخشاب ، سامية مصطفى(1993) : النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة ، القاهرة ، دار المعارف .

- موافي ، أحمد محمود(2009) : حضانة الصغير ورؤيته والحق فى إستضافته ومسكن حضانته ، القاهرة ، دار البراءة ، ط2 .

- حسن ،أحمد فرج (2004) : أحكام الأسرة في الإسلام والطلاق ، الخلع ، النقض، وفق التشريعات القانونية ، القاهرة ، دار الجامعة الجديدة .

- تيرنر ، جوناثان (2000): بناء نظرية علم الاجتماع ، ترجمة / محمد سعيد فرح ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ط2 .

- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء (2009): نشرة إحصاءات الزواج والطلاق السنوية .

• منصور ،حسن حسن :شرح إجراءات محكمة الأسرة على ضوء القانون رقم 10 لسنة 2004 ، القانون رقم 1 لسنة 2000 ، آراء الفقهاء وأحكام القضاء ، أحدث أحكام محكمة النقض ، القاهرة ، بدون دار نشر ، دت .

• رضوان ، زينب (1979): حقوق الطفل فى الإسلام ، المجلة الاجتماعية القومية ،مج 16 ، ع1-3 .

• الخشاب ، سامية مصطفى(1993): النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة ، القاهرة ، دار المعارف .

• عبدالغني ،سحر(2007): الأطفال وتعاطي المخدرات ، الإسكندرية ، المكتبة المصرية .

• الأودن ، سمير عبد السميع (2001): التعليق على قانون تنظيم إجراءات التقاضى فى مسائل الأحوال الشخصية الجديد (قانون رقم 1 لسنة 2000) ، الاسكندرية ، الإشعاع الفنية .

• عبد الرحمن ،عبد الله محمد (2002) ، النظرية في علم الاجتماع ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية .

• حسام الدين ،محمد (200): المسئولية الاجتماعية للصحافة ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية .

• الشافعى ،محمد ابراهيم (1982): المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية .

• عابد، محمد (2009): التوافق النفسي والمسئولية الاجتماعية لدي المجرمين ، القاهرة ، دار الفكر العربي .

• عبد الجواد ،مصطفى خلف (2002): قراءات معاصرة فى نظرية علم الاجتماع ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الاداب جامعة القاهرة .

• منظمة الأمم المتحدة للطفولة : اتفاقية حقوق الطفل والبروتوكولين الإضافيين ، السودان

• ناهد أحمد فؤاد : تقويم التجربة المصرية فى الإعداد الأكاديمى والتدريب المهنى للصحفيين : رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، 1988 .

- العويضي، إلهام بنت فريح بن سعيد (2004): أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية في محافظة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، وكالة كليات البنات، المملكة العربية السعودية.

- رحومه, علي محمد (2005): الإنترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية بحث تحليلي في الآلية التقنية للإنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحة الدكتوراة 53، ط1، بيروت.

- الهاجري، إياس بن سمير (2004): تاريخ الإنترنت في المملكة العربية السعودية، ، الرياض.

- الحامد، محمد بن معجب؛ وزيادة، مصطفى عبد القادر؛ والعتيبي، بدر بن جويعد؛ ومتولي، نبيل عبد الخالق (2007): التعليم في المملكة العربية السعودية رؤية الحاضر واستشراف المستقبل، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط4، الرياض: المملكة العربية السعودية.

- الجابري، محمد عابد (2006): تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان- بيروت.

أبو الحمام، عزام (2015): الإعلام الثقافي (جدليات وتحديات)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن –عمان.

- الطائي، جعفر حسن جاسم (2006): التطبيقات الاجتماعية لتكنولوجيا المعلومات، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، الأردن-عمان.

المراجع باللغة الانجليزية:

-Albert W. stewart, james A.Glynn1981,: introduction to sociology, 3rd, ed, N.Y. Mc grow fill,

-Anthony giddens:1991,Sociology, Cambridge, polity press, .

- Charlotte Seymoure and smith:1992. Sociology Macmillan dictionary of anthropology: London, the Macmillan press, LT.D,

Duncan Mitchall;1996, A dictionary of sociology chicago, aidin company,

- David B.brinkerhoff & lynnk white:1988, Sociology, N.Y. west publishing company, 2nd ed,

-Edwin P. Hollander:1981, "Principles and methods social psychology", N.Y. Oxford university Press,

-Hamilton Mc Cublin and Barbara Blum:1985 "Mariage and family", N.Y. John wily and Sons,

- Jack Nobbs and Robert Hine:1979, "sociology", 2nd ed, .N.Y. Macmillan Press,

-James william Donald R. Cressy:1987, "social - problems", 3rd ed, London, Harber and & Row publishers , .

- James & Williman coleman& R-cressy:1992, social .problems combridge, 3rd, ed, harper & Row publishers,

-James w.vander:1990, Sociology, N.Y. Me-grow hill publishing company .

Kurt Danziger:1971," ".Middle-sex, peenguin books, . socialization

- Ken Browne:1993, An Introduction to sociology, Combridge, polity press.,

Leonard Broom and others:1990, sociology", California : -,Wadsworth company,

-Linda J.pfiffner:2001,Father absence and familia lantisocial characteristics.http://www.findarticles.co m.oct.

-R. Scheffer:1972, " Motherhood, the developing child", Ed .J. Burner & cole M. & lioyed,

Richard T. Schaefer:1992, "sociology", 4th ed, N.Y. Mc Grow - hill,

-Rodgey stark :1992, Sociology California 4th ed, wads .worth publishing company

=MaryAnn Lamanna and Agnes Riedmann :2009, Marriages and Families , United States, Thomson, Tenth Edition

-Duncan Mitchall:1968, (Adictionary of sociology),Chicago,Aidin company.

-Leonard Broon and others:1990, (Sociology).California, Wadswarth company,